الباب الثَّاني

جهود الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في تقرير عقيدة السّلف في التّوحيد، وأنواعه.

ويتضمن خمسة فصول :

الفصل الأول: جهود الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في بيان التّوحيد .

الفصل الثَّاني: توحيد الرّبوبية.

الفصل الثَّالث: توحيد الألوهية.

الفصل الرَّابع: توحيد الأسماء والصِّفات.

الفصل الخامس: نواقض الإسلام.

الفصل الأول

جهود الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله- في بيان التّوحيد.

وفيه تمهيد ، ومبحثان :

التّمهيد يتضمن ما يلي :

أولاً : التّعريف بعقيدة السّلف .

ثانياً : مكانة العقيدة عند السّلف .

ثالثاً : اعتناء الشّيخ ـ رحمه الله- بالعقيدة أولاً .

المبحث الأول: تعريف التّوحيد .

المبحث الثّاني: أنواع التّوحيد .

التمهيد:

أولاً: التّعريف بعقيدة السّلف الصّالح لغةً واصطلاحاً:

تعريف العقيدة لغةً:

قال ابن فارس[١]: " العين والقاف والدال أصل واحد، يدل على شدٍ وشِدَّةٍ وثوق، وإليه يرجع فروع الباب كلها" [٢] وهي من العقد: وهو الربط والشّد بقوة، ومنه الإحكام والإبرام، والتّماسك، والمراصة، والإثبات، والتّوثق [٣].

والعقيدة في الاصطلاح العام هي: حكم الذهن الجازم، فإن وافق الواقع، فهو اعتقاد صحيح، وإن خالف الواقع في نفس الأمر، فهو اعتقاد فاسد.[٤]

فهي بهذا الإطلاق تطلق على ما عقد عليه القلب من اعتقاد جازم، سواء كان ذلك الاعتقاد حقاً، أم باطلاً.

والاعتقاد: مصدر اعتقد، كذا إذا اتخذه عقيدة له، بمعنى عقد عليه الضمير والقلب، ودان به.[٥] ، وأمَّا تعريف العقيدة في الاصطلاح الخاص ـ ونعني به عند أهل السّنة والجماعة ـ: "فهي الإيمان الجازم بالله، وما يجب في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه، وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه ،ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. وبكل ما جاءت به النّصوص الصّحيحة من أصول الدين، وأمور الغيب ،وأخباره، وما أجمع عليه السّلف الصّالح، والتّسليم لله ﷻ في الحكم، والأمر

---

١) هو : أبو الحسن أحمد **بن فارس** بن زكريا بن حبيب الرازي اللغوي الأديب، من تصانيفه : مقاييس اللغة، والمجمل. توفي سنة ٣٩٥هـ . انظر : معجم الأدباء (٤/ ٨٠)، ووفيات الأعيان(١/ ١١٨).

٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (ص ٦٧٩)، مادة: عقد .

٣) بحوث ودراسات في عقيدة أهل السّنة والجماعة، لـ ناصر العقل، (ص ١١) .

٤) شرح العقيدة السّفارينية، لابن مانع، تحقيق أشرف عبد المقصود. (ص٢٣).

٥) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لـ محمَّد خليل هراس، (ص١٦) .

، والقدر، والشّرع، ولرسوله ﷺ: بالطاعة، والتّحكيم، والاتباع."[١]

ثانياً: السّلف الصّالح:

تعريف السّلف لغةً: قال الخليل [٢]: "كل شيء قدمته فهو سلف".[٣]

وقال ابن فارس: "السّين واللام والفاء: أصل يدل على تقدم سبق، من ذلك السّلف الّذين مضوا. والقوم السّلاف: المتقدمون".[٤]

واصطلاحاً: يعرفها الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ بقوله: "عقيدة السّلف الصّالح ما كان عليه النّبي ﷺ، وأصحابه، و التّابعون، والأئمة المتبعون، ومن سار على نهجهم".[٥]

ويُراد بهذه التّسمية الصّحابة ﷺ، وتابعوهم، وأتباعهم من أئمة الإسلام العدول، ممن اتفقت الأمَّة على إمامتهم في الدين، وعظم شأنهم فيه، وتلقى المسلمون كلامهم – خلفاً عن سلف – بالرضا والقبول، وأجمع المسلمون على هدايتهم، ودرايتهم، وتقدمهم، والاقتداء بهم، واتباعهم، والسّير بسيرهم، والنّهج على منوالهم.

ومذهب السّلف هو: ما كانوا عليه من الاعتقاد المنسوب إليهم.[٦]

والسّلفية تطلق ويراد بها أحد معنيين:

الأول: حقبة تاريخية معينة تختص بأهل القرون الثّلاثة المتقدمة، كما في الحديث: «**خَيْرُكُمْ**

---

١) بحوث ودراسات في عقيدة أهل السّنة، لـ ناصر العقل، (ص١١).

٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي: أبو عبد الرّحمن. كان إماماً في النّحو، وهو الّذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود، من أشهر تصانيفه: كتاب العين، والعروض، توفي عام ١٣٠هـ. انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (١/١٣٠).

٣) العين، للفراهيدي(٧ / ٢٥٨).

٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/٤٨٩).

٥) مجموعة رسائل الشّيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ ، رسالة: الشّيخ محمَّد بن عبد الوهاب، وحقيقة دعوته، (ص ١٦٢).

٦) لوامع الأنوار السّنية، لمحمَّد السّفاريني (١/١٢٠)، والسفاريني هو: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، محدث، أصولي، له تصانيف كثيرة، منها: البحور الزاهرة في أمور الآخرة، ولوامع الأنوار، توفي سنة ١١٨٨هـ. انظر: مختصر طبقات الحنابلة للشطي(١٤٠)، ومعجم المؤلفين لكحالة(٨/٢٦٢).

قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ...»[(١)]

الثّاني: الطريقة الّتي كان عليها الصّحابة والتّابعون، ومن تبعهم بإحسان: من التّمسك بالكتاب والسّنة، وتقديمهما على ماسواهما، والعمل بهما على مقتضى فهم الصّحابة والسّلف.[(٢)]

فالسّلفية بالإطلاق الأول تكون مرحلة تاريخية، قد انتهت بموت رجالها .

وبالإطلاق الثّاني: تكون منهاجاً باقياً إلى يوم القيامة، يصح الانتساب إليه متى التزمت شروطه وقواعده؛ لقول النبي ﷺ: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»[(٣)]

وخلاصة القول في تعريف السّلفية أن نقول : "السّلفية نسبة إلى السّلف، والسّلف هم أصحاب رسول الله ﷺ، وأئمة الهدى من أهل القرون الثّلاثة الأولى الّذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالخير."

والسّلفيون: جمع سلفي، نسبة إلى السّلف، وهم الّذين ساروا على منهاج السّلف من اتِّباع الكتاب والسّنة، والدّعوة إليهما، والعمل بهما، فكانوا بذلك أهل السّنة والجماعة .[(٤)]

ثانياً: مكانة العقيدة عند السّلف الصّالح :

وهذا التّوحيد هو أول واجب على المكلف، لا النّظر، ولا القصد إلى النّظر، ولا الشّك في الله؛ كما هي أقوال من لم يدر ما بعث الله به رسوله ﷺ من معاني الكتاب والحكمة، فهو أول واجب، وآخر واجب، وأول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما

١) أخرجه البخاري (٢/٩٣٨ برقم ٢٥٠٨)، ومسلم (١٩٦٤/٤ برقم ٢٥٣٥).

٢) شرح أصول اعتقاد أهل السّنة والجماعة، اللالكائي (١/١٩.٧)، واعتقاد أهل السّنة أصحاب الحديث، لـ محمَّد الخميِّس، (ص ١٢٨- ١٢٩) .

٣) أخرجه البخاري (٢٦٦٧/٦ برقم٦٨٨١) ، و مسلم(١٥٢٣/٣ برقم١٥٢٠).

٤) مجلة البّحوث الإسلامية، عدد (٣٤)، سنة ١٤١٢ هـ، فتوى رقم (١٣٦١)، وفتوى رقم (٦٨٠٠) .

يخرج به من الدنيا ؛ كما قال ﷺ : «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[١]، وقال ﷺ : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»[٢].

ثالثاً : اعتناء الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ بالعقيدة :

العقيدة الإسلامية هي الخاتمة لجميع العقائد السّابقة، الّتي بعث الله بها الرسل، وأنزل الكتب، وهي الّتي لا يقبل الله من خلقه عقيدة سواها، و هي أعز ما يملكه المسلم في هذه الحياة ؛ فبفقدها يفقد المسلم سعادة الدنيا والآخرة، فجزاء الآخرة مترتب على أعمال الحياة الدنيوية، فإذا تحقق المقصود من وجود العبد في هذا الكون، وهو عبادة الله وحده، ودخل في قوله ﷻ : M C D E F G H L[٣]، وقد ذكر جمع من العلماء أن المراد بالعبادة التّوحيد.وكذا في قوله ﷻ : M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / L[٤].والتّوحيد هو العقيدة الّتي لا تصح الأعمال إلاّ بها. فدعوة الرسل تبدأ بالدّعوة إلى التّوحيد، وقد ذكر الله ﷻ جمعاً من الأنبياء، وحالهم في الدّعوة إلى الله مع إخوانهم، فكانت بداية دعوتهم :

M I J K L M N O P Q R S T V W L[٥].

ومن العلماء الّذين جاهدوا في هذا العصر لإبراز العقيدة السّليمة المجردة من البدع والخرافات الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ ، وهو امتداد لسلسلة علماء الدّعوة في هذه البلاد والبلاد الإسلامية عامة، ويظهر ذلك من خلال كتاباته، ورسائله المكتوبة

---

١) أخرجه أبو داود في سننه (١٩٠/٣ برقم ٣١١٦) ، و أورده النووي في شرح النووي على صحيح مسلم(٢١٩/١) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٦٤٧٩).

٢) أخرجه البخاري (١٧/١ برقم ٢٥) ، ومسلم(٥٣/١ برقم ٢٢).

٣) سورة الذاريات (آية :٥٦).

٤) سورة الأنبياء (آية : ٢٥).

٥) سورة المؤمنون (آية : ٣٢).

ومحاضراته، وفتاواه الصّوتية. تجد فيها روح الدّعوة إلى العقيدة السّليمة، وتقريره لهذا المنهج، وهو من الأولويات الّتي اشتغل بها من أول خطوة في حياته الدَّعوية، ممتثلاً في ذلك سيرة الرسل ومن سار سيرتهم، فنبينا ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى التّوحيد، ولم يأمر أحداً بصلاة، أو زكاة، أو حج. بل كان ﷺ يقول للناس: "**قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا**".[1] فالربط بين العلم والعمل الدَّعوي مهم جداً في حياة العالِم، فالعلم يتبعه العمل، لذا نجد كثيراً من الدَّعوات الّتي تسمي نفسها بالدَّعوات الإصلاحية لا تعتني بالعقيدة، بل جعلوا من أولوياتهم المحافظة على وحدة الصّف المسلم رغم ما فيه من البدع، والشّركيات، والشّعوذة؛ لذلك لا تجد لهم أثراً في الواقع الدَّعوي، فالمحافظة على الإسلام نقياً من البدع والشّركيات والضلالات هو من شأن أرباب الكمال، أي: أصحاب العقائد السّليمة الّذين يَغَارون لدين الله ﷻ، ويتمنون لو أن أفئدة المسلمين على كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، على فهم سلف هذه الأمّة. فأخوة الدين لا تكون إلاّ بتصحيح الاعتقاد و المحبة فيه، وهي الأخوة الإسلامية الحقَّة، الّتي يسعى لتحقيقها علماء السّنة ذوو العقائد السّليمة، فلن ينصلح حال هذه الأمَّة إلاّ بصلاح عقيدتها، كما فعل الأنبياء مع أقوامهم. وهذا أيضاً واضح من سيرة نبينا ﷺ في دعوته، وكذا من تبعه، قال ﷻ: M P Q R S T U W X Y Z [ ] ^ _ ` a b L[2].

فالشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ كان شديد الحرص، وشديد العناية بمسائل الاعتقاد، وجل دعوته كانت في تبصير الأمَّة في عقيدتها، وتبيين البدع، والرد على أعداء الإسلام من ملاحدة، وغيرهم، ويحث الشّيخ ـ رحمه الله ـ على حفظ رسائل أئمة

---

١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/٤٩٢ برقم١٦٠٦٦) وابن أبي شيبة في مسنده(٢/٣٢٢ برقم ٨٢٢)، وابن خزيمة في صحيحه (١/٨٢ برقم ١٥٩)، وابن حبان في صحيحه (١٤/٥١٨)، والطبراني في المعجم الكبير(٥/٦١ برقم ٤٥٨٢)، والدارقطني في سننه(٣/٤٤ برقم ١٨٦)، والحاكم في المستدرك(١/٦١برقم ٣٩).

٢) سورة يوسف (آية: ١٠٨).

الدّعوة، وخاصة كتب الشّيخ محمَّد بن عبد الوهاب ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ كالأصول الثّلاثة، وكتاب التّوحيد، وكشف الشّبهات، والقواعد الأربعة، وغيرها من كتب المتقدمين، فرحم الله الشّيخ رحمة واسعة، وأجزل له المثوبة، وجعل ما قاله وكتبه في ميزان حسناته؛ إنه سميع مجيب.

ويؤكد الشّيخ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ قضية الاعتناء بالتّوحيد كما كان عليه سلف الأمة فيقول:

"هذا هو التّوحيد الَّذي أرسلت من أجله الرسل، وأنزلت لأجله الكتب، ولأجله جردت سيوف الجهاد، ولأجله حقت الحاقة، ووقعت الواقعة، ولأجله نصبت الموازين، ولأجله قام سوق الجنة والنّار، ولأجله صار النَّاس فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السّعير، كله لأجل توحيد العبادة، وهو مدلول كلمة الإخلاص ـ لا إله إلاّ الله ـ ولأجلها خلق الله الخليقة، ولأجلها أقام الصّراط بين الجنة والنّار، إلى غير ذلك، كله من أجل (لا إله إلاّ الله) الَّتي حقيقتها إفراد الله بالعبادة، والبراءة من الشّرك "[١].

ويبين الشّيخ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أن إرسال الرسل كان لغرض التّوحيد:

"فكما أن الله خلق الخلق لعبادته، كذلك أرسل الرسل أيضاً لعبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ما أرسل الرسل يعلمون النَّاس الطب، والزراعة، والصناعة، أو يعلمونهم الأكل والشّرب، أو يعلمونهم أن يقروا بتوحيد الرّبوبية، بل أرسل الرسل ليأمروا النَّاس بعبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الَّذي هو ربهم، والذي يعترفون أنه هو ربهم، والذي يعترفون أنه ربهم وخالقهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"[٢].

طريقة الشّيخ في بيان التّوحيد :

قال ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: " كل واحد من الفرق الضالة، أو كل واحدة من الفرق الضالة والمنحرفة تفسر الإسلام بمنهجها، وينزلون هذا المدح، وهذا الثّناء على مذهبهم، ولكننا لا نمدح الإسلام فقط، بل لا بد أن نبين ما هو الإسلام، ما هي حقيقة الإسلام الَّذي

١) شرح كشف الشبهات، الشّيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ (ص: ١١).

٢) شرح كتاب التّوحيد، مرجع سابق، من تفريغ الباحثة(تحت الطباعة).

ينجي من الكفر، ويدخل في التّوحيد، وينجي من النّار، ويدخل الجنة، ما هي حقيقة الإسلام؟ وما هي نواقضه؟ ما هي نواقض الإسلام الّتي تخرج الإسلام من كينونته ؟ وما هي منقصاته ؟ لا بد من هذا، أما مجرد المدح، وذكر الفضائل بدون أن تبين حقيقة الشّيء، فهذا خطأ عظيم، ونقص لك أنت، وأما أن تقول الإسلام بدون بيان، وبدون تفكير، كل يفكر على مذهبه من الفرق الضالة، لكن لما تبين حقيقة الإسلام، وتبين نواقض الإسلام ونواقصه؛ حينئذ يتبين أنَّ الإسلام هو ما جاء به رسول الله ﷺ، وكان عليه صحابته الكرام، وكانت عليه القرون المفضلة. أما من خالف ذلك، فليس من الإسلام في شيء، وإن كان صاحبه يدعي أنه هو من أهل الإسلام، فلا بد من ذلك".

ثم يكمل الشيخ ـ رحمه الله ـ فيقول: "ومن هنا تجدون الشّيخ (الشّيخ محمَّد بن عبد الوهاب) ـ رحمه الله ـ بيَّن في الباب الأول حقيقة التّوحيد، لكي نعرف أن كل واحد يدعي أن مذهبه هو التّوحيد، أو ما هو عليه التّوحيد. لا، التّوحيد هو ما جاء في هذه الآيات، وفي هذه الأحاديث الّتي ذكرها الشّيخ ـ رحمه الله ـ، وما شابهه مما لم يذكره، هذا هو الصّحيح؛ من أجل أن يقطع الطريق على المضللين الّذين يدعون أن ما هم عليه هو التّوحيد، وأنه هو الإسلام، نحن نبين حقيقة الإسلام، ونعرِّف الإسلام كما جاء في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، فمن قَبله، فأهلاً وسهلاً وعلى الرحب والسّعة، ومن لم يقبله، فلا يلومنَّ إلاّ نفسه، تقوم عليه الحجة، نحن نقيم عليه الحجة وعلى ما اختار لنفسه".

ثم يكمل الشيخ ـ رحمه الله ـ فيقول: "الإسلام ليس شماعة يعلق عليها ثيابه، بل الإسلام دين جاء به رسول الله ﷺ، بيَّنه للناس، فلا بد من بيان حقيقته؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، هذا هو الإسلام. وهذه المسألة مهمة جدًا ".[1]

---

١) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ، باب فضل التّوحيد وما يكفر من الذنوب(تحت الطباعة).

المبحث الأول

تعريف التّوحيد

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: معنى التّوحيد لغةً واصطلاحاً ، ومفهومه عند الشّيخ عبد الله بن حميد -رحمه الله-، وحقيقة التّوحيد.

المطلب الثاني: تقسيم الشّيخ عبد الله بن حميد -رحمه الله- للمخالفين للتوحيد .

المطلب الأول: معنى التّوحيد لغةً واصطلاحاً، ومفهومه عند الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ، وحقيقة التّوحيد:

التوحيد في اللغة: الواحد: أول عدد الحساب، وقد يثنى، والجمع واحدون، ووحَّده توحيداً: جعله واحداً، ووحيدًا. ومتوحِّد: منفرد(١).

والتّوحيد مصدر وحَّد يُوحِّد توحيداً، أي: جعله واحداً، وسمي دين الإسلام توحيداً لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله، لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته، لا نظير له، وواحد في إلاهيته وعبادته، لا ندَّ له(٢).

والتوحيد هو: إفراده سبحانه بالعبادة، ويُعَرف بعدة تعريفات(٣) فمن جهة اللغة: وحد توحيداً أي جعله شيئاً واحدا، فوحّد المتوجه إليه في العبادة توحيدا؛ يعني جعل المعبود بحق واحدا، و(**التوحيد**) عرّفه الشيخ ـ رحمه الله ـ هنا بقوله: **(هو إفراده سبحانه بالعبادة)** إفراد الله يعني: أن يكون التوجه بالعبادة لله وحده هو فردٌ في ذلك، فلا يُجعل من دون الله إله، ولا يُجعل مع الله ـ جل وعلا ـ إله.

وقد جاء في السنة لفظ التوحيد، وقد جاء أيضا لفظ وحّد يوحد، فمادة هذه الكلمة جاءت في السنة، خلافاً لمن زعم أن هذا اللفظ إنما اهتم به شيخ الإسلام ابن تيمية ومن تابعه، وهذا غلط كبير؛ لأن هذا اللفظ قد جاء في السنة في أحاديث كثيرة، فقد جاء في الحديث الصحيح: **(أن النبي عليه الصلاة والسلام أهل بالتوحيد)**(٤)، وثبت أيضاً في مسلم وفي غيره أن النبي ـ ﷺ ـ قال: **«بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسَةٍ. عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ»**(٥)،

---

١) القاموس المحيط للفيروز آبادي (ص: ٣٠٦).

٢) تيسير العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن عبد الله ـ رحمه الله ـ.(ص: ٣٢ - ٣٣).

٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٣٤٩) ط. دار الفكر، وتجريد التوحيد المفيد (ص ٣٨ ـ ٣٩) ط.دار عالم الفوائد، وفتح الباري (١١/٢٢٧)، (١٣/٣٤٤) ط. دار المعرفة، وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص١٧).

٤) أخرجه مسلم (١٢١٨).

٥) أخرجه مسلم (١/٤٥ برقم ١٦).

وفي حديث جبريل أيضا المعروف قال ـ ﷺ ـ: **«الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاّ الله، وَأَنّ مُحَمّداً رَسُولُ اللّهِ»**(١)، وفي رواية: **«الإِسْلاَمُ أَنْ تَعْبُدَ اللهُ وَلا تُشْرِك به شَيْئاً»**(٢)، والنبي ـ ﷺ ـ كان يُهِلُّ بالتوحيد؛ يعني يقول: لا إله إلا الله. وكان يهل في الحج بالتوحيد، يعني يقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك. لأن نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله ـ ﷻ ـ هو التوحيد.

وهذه الكلمة (التوحيد) جاءت في السنة في أحاديث كثيرة، وكذلك لفظ (وحَّد)، فهي كلمة مستعملة ومشهورة، ومن ألفاظ حديث معاذ المعروف: **«فليكن أول ما تدعوهم إليه، إلى أن يوحِّدوا الله»**(٣).

والتوحيد في الاصطلاح:

"إفراد الله ﷻ بما يختص به من الرّبوبية، والألوهية، والأسماء والصفات"(٤).

يقول صاحب تيسير العزيز الحميد: "وإن شئت قلت: التّوحيد نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات. وهو توحيد الرّبوبية، والأسماء والصِّفات. وتوحيد في الطلب والقصد. وهو توحيد الألوهية والعبادة"(٥).

ولعلماء الإسلام تعاريف متنوعة لمسمى التّوحيد، ومن المعلوم أن الشّيخ عبد الله ـ رحمه الله ـ تأثر كثيراً بكتب الشّيخ محمَّد بن عبد الوهاب، الّتي ركزت على ترسيخ الاعتقاد الصّحيح في نفوس الأمة، وقد انتشرت هذه الرسائل والكتب، وجعل الله لها القبول في الأرض، والغالب أنَّ العلماء في هذه البلاد المباركة يحفظونها عن ظهر قلب: كالأصول

---

١) أخرجه مسلم (١/٣٧ برقم ٨).

٢) أخرجه البخاري (٤/١٧٩٣ برقم ٤٤٩٩)، ومسلم (١/٣٩ برقم: ٩، ١٠).

٣) أخرجه البخاري (٢/٥٢٩ برقم ١٣٨٩)، ومسلم (١/٥١ برقم: ١٩).

٤) القول المفيد على كتاب التّوحيد، للشيخ محمَّد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله ـ (١/٨).

٥) فتح المجيد، شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الرّحمن بن حسن آل الشيخ ـ رحمه الله ـ (ص: ١١)، وهو اقتباس من مدارج السّالكين لابن القيم ـ رحمه الله ـ (٣/٤٦٨).

الثّلاثة، والقواعد الأربع، وكتاب التوحيد، وغيرها من المتون، والشّيخ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ يقرر ما فيها، ويؤيد، ويستدل لهذه المسائل بالأدلة من القرآن والسّنة.

أما مفهوم التّوحيد عند الشّيخ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ فإنه يبينه فيقول:

"التّوحيد ليس المراد منه ما يظنه المتكلمون، ومن لا معرفة له بالتّوحيد، حيث يظنون أن التّوحيد الّذي هو شهادة أن لا إله إلاّ الله، هو أنك تعتقد بأنَّ الله هو الرازق، المعطي، المحيي، المميت، المدبر لهذا العالم، هكذا يقول المقصرون فيه، فإذا اعترفت بهذا، فهذا التّوحيد الّذي لا يضرك معه شيء. وهذا من أكبر الغلط؛ لأن هذا هو توحيد الرّبوبية الّذي أقر به المشركون الّذين بعث فيهم النّبي ﷺ، فهم معترفون أن الله هو الّذي ينفع ويضر، فلا قدرة لأحد على إيجاد نفع، أو دفع ضر، ومع هذا لم يدخلهم توحيد الرّبوبية في الإسلام"(١).

ويؤيد قول الشّيخ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ قائلاً: "فأما توحيد الرّبوبية الّذي أقر به الخلق، وقرره أهل الكلام، فلا يكفي وحده"(٢).وقوله: "المشركون من قريش وغيرهم الّذين أخبر القرآن بشركهم، واستحل النّبي ﷺ دماءهم وأموالهم، وسبى حريمهم، وأوجب لهم النّار، كانوا مقرين بأن الله وحده خلق السّموات والأرض".(٣)

ويؤكد الشّيخ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ هذه المسألة بقوله:

"أما توحيد الرّبوبية، فقد اعترف به المشركون الّذين بعث فيهم رسول الله ﷺ، ولم يدخلهم في الإسلام، فهم مقرون بأن الله هو الخالق الرازق، المحيي المميت، المتصرف في هذا العالم بما تقتضيه حكمته وإرادته، ومجرد الاعتراف بهذا لا يكون به الإنسان مسلماً"(٤). فمفهوم التّوحيد عند الشّيخ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أشمل وأوسع من هذا، وهو المفهوم الّذي سار عليه سلف هذه الأمَّة في السّابق والحاضر، ومن المعلوم أن كتب الدّعوة الّتي

---

(١) شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ، تحت باب: تفسير التّوحيد وشهادة أن لا إله إلاّ الله ... من تفريغ الباحثة.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١/٢٣).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١/١٥٥).

(٤) رسالة: التّوحيد وبيان العقيدة السّلفية النّقية. للشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ(ص: ٥).

حررت هذه المسائل كانت تُقرأُ في مجلس الشّيخ العلمي، ويقرر مافيها: "المراد بالتّوحيد: توحيد العبادة، وكل رسول يفتتح دعوته لقومه بهذا التّوحيد. وهذا التّوحيد الّذي خلقوا له، ودعوا إليه، هو توحيد الألوهية، توحيد القصد والطلب" [١].

حقيقة التّوحيد

يقول ـ رحمه الله ـ مبيناً حقيقة التّوحيد الّذي دعت إليه الرسل:

"إذا تحققت أن المشركين مقرُّون بتوحيد الرّبوبية من أن الله هو الّذي يخلق، ويرزق، ويعطي، ويمنع، ويتصرف في خلقه، بما تقتضيه حكمته وإرادته، ومع هذا لم يدخلهم في الإسلام، بل توحيد العبادة هو الّذي أحل دماءهم وأموالهم، وقاتلهم النّبي ﷺ لأجل ذلك، عرفت حينئذ حقيقة التّوحيد، الّذي بُعِثت لأجله الرسل. وأُرسِلت لأجله الرسل. والمشركون ـ كما تقدم في الآيات ـ كلهم يعترفون بتوحيد الرّبوبية، لكن منهم من يدعو الملائكة ليلاً ونهاراً، ومنهم من يدعو الأشجار، ومنهم من يدعو الأحجار، ومع هذا قاتلهم الرسول ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم، من أجل أن يكون الدين كله لله ـ ﷻ ـ، وقد أُمِرَ النّبي ﷺ بقتالهم؛ كما في قوله ﷻ: M وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ © L [٢].
أي: حتى لا يكون شرك، LM L K M، وآية الأنفال: Mوَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ L [٣]. فالله ـ ﷻ ـ أمر الرسول ـ ﷺ ـ بقتالهم؛ حتى ينتهي الشّرك، ويكون الدين كله لله ـ ﷻ ـ وحده لاشريك له، فعبادتهم ليلاً ونهاراً، وصيامهم، وصدقاتهم، وحجهم، لم ينفعهم، بل كما قال الله فيهم وفي أمثالهم: M B C D E F G H I J L [٤]. وذلك لإنكارهم توحيد العبادة، الّذي حقيقته أن لا نعبد إلاّ الله وحده لا شريك له، وحقيقته أيضاً أن نوحده بأفعالنا، والمشركون وحدوا الله ـ ﷻ ـ بأفعاله، غير

---

١) انظر: قرة عيون الموحدين للشيخ: عبد الرّحمن بن حسن آل الشّيخ ـ ~ ـ (ص: ٥).

٢) سورة البقرة (آية: ١٩٣).

٣) سورة الأنفال (آية: ٣٩).

٤) سورة الفرقان (آية: ٢٣).

أنهم لم يوحدوه بأفعالهم، فتوحيد الرّبوبية لم يدخلهم في الإسلام، ولم تُعصم به دماؤهم وأموالهم، بل الرسول ﷺ استحل دماءهم وأموالهم، وقاتلهم من أجل العمل بمعنى لا إله إلاّ الله، بأن يكون الدين كله لله، لا يسأل إلاّ الله، ولا يستعان إلاّ بالله، و لا يطلب المدد إلاّ منه، ولا يستغاث إلاّ به، ولا يذبح ولا ينذر إلاّ له، هذا هو حقيقة التّوحيد الّذي هو دين الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو مدلول كلمة الإخلاص، لا إله إلاّ الله، والله أعلم" .[١]

المطلب الثاني: تقسيم الشّيخ - رحمه الله - للمخالفين للتوحيد:

يقسم الشّيخ - رحمه الله - النّاس في مقام مخالفة التّوحيد إلى ثلاثة أقسام:

١. إما أنه يعرف التّوحيد، لكنه لا يعمل به.
٢. أو أنه يعمل به، ولكنه لا يعرفه.
٣. أو أنه يعرفه، ويعمل به، لكنه لا يعتقده.

وعلى تقدير هذه الأحوال لم يكن الإنسان موحداً، بل لابد أن يعرف التّوحيد، ويعتقده، ويعمل به، هذه الثّلاثة هي أركان التّوحيد، بل لا بد منها. ولو عمل به، وهو لا يعتقده، فهذا منافق أشر من الكافر الخالص، أو أنه يعرفه في الباطن، لكنه يجحده، ويكابر في إنكاره، هذا فيه شبه من فرعون؛ لأن فرعون يعرف الحق في باطن الأمر، ولكنه ينكره جحوداً وعنادًا، قال ﷻ: M ! " # $ % & L[٢].[٣]

---

١) شرح كشف الشّبهات للشيخ عبد الله بن حميد - ~ - ،(ص: ٢٦).
٢) سورة النّمل، (آية: ١٤)
٣) شرح كشف الشّبهات للشيخ ابن حميد - ~ - (ص: ١٢٤).

المبحث الثَّاني

أنواع التوحيد

وفيه :

أولاً : الأدلة على أنواع التّوحيد.

ثانياً : التّلازم بين أنواع التّوحيد.

تمهيد :

قسم أكثر علماء السّنة والجماعة التّوحيد إلى ثلاثة أنواع، وذلك بعد التّتبع والاستقراء لنصوص الكتاب والسّنة، وليس هذا العمل مبتدعاً، بل هو باب من الأبواب الشّرعية الّتي اجتهد فيها العلماء، حتى خلصوا إلى هذه الأنواع، فكما أن المسائل العملية الّتي جمعت في أمهات أصول المذاهب الإسلامية الأربعة المعتبرة عند المسلمين عن طريق الاستقراء، والتّتبع للنصوص، فكذا المسائل العلمية العقدية، بل البحث فيها أولى من المسائل العملية؛ فصحة المسائل العملية متوقفة على صحة المسائل العلمية، وهو الّذي أطلق عليه علماء أهل السنة الفقه الأكبر.

وهي حسب ما ذكره أهل العلم ثلاثة، الأول توحيد الربوبية. الثاني توحيد الألوهية. الثالث توحيد الأسماء والصفات، وعلموا ذلك بالتتبع والإستقراء ،والنظر في الآيات والأحاديث فوجدوا أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة[1] .

وقد سار الشّيخ عبد الله ـ رحمه الله ـ سيرة السلف بتقرير هذه الأنواع الثّلاثة ـ فهو يقول:

"اعلم أن التّوحيد الّذي دل عليه القرآن والسّنة، وأجمع عليه سلف الأمّة ثلاثة أقسام:

١- توحيد الرّبوبية.

٢- توحيد الألوهية.

٣- توحيد الأسماء والصِّفات".[2]

هذا باعتبار التعلق بالله ـ جل جلاله ـ وهناك تقسيم آخر باعتبار مايجب على العبد :

١- التوحيد العلمي الخبري.

---

١) فتاوى مهمة لعموم الأمة ، ابن باز وابن عثيمين ـ رحمهما الله ـ، دار العاصمة، الرياض ، ١٤١٣هـ ،ط١ ،تحقيق إبراهيم الفارس(١/٤).

٢) رسالة العقيدة السّلفية النّقية، الشّيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ (ص: ٣).

٢- التوحيد الارادي الطلبي.

وقد ركز الشّيخ ـ رحمه الله ـ من خلال الرسائل والكلمات والنّصائح على توحيد الألوهية. وهذا ظاهر في سيرة الشّيخ الدَّعوية، فغالب البدع والضلالات يردُها الشّيخ ـ رحمه الله ـ ، ويعزوها إلى الخلل الَّذي وقع في جانب توحيد الألوهية ، ومعلوم أن أخطر المواقف الّتي مرت بها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كانت بسبب توحيد الألوهية .

أولاً : الأدلة على أنواع التّوحيد :

هذه الأنواع الثّلاثة ليست من بدع القول ـ كما يقوله أعداء أهل السّنة والجماعة ـ، بل شيء سار عليه المتقدمون من سلف هذه الأمَّة، يقول ابن بطة العكبري[١] : "وذلك أن أصل الإيمان بالله ـ جل جلاله ـ الَّذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء :

أحدها: أن يعتقد العبد آنيته[٢] ؛ ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التّعطيل الَّذين لا يثبتون صانعاً .

الثّاني: أن يعتقد وحدانيته ؛ ليكون مباينًا بذلك مذاهب أهل الشّرك الَّذين أقروا بالصانع، وأشركوا معه في العبادة غيره .

الثّالث: أن يعتقده موصوفاً بالصِّفات الّتي لايجوز إلا أن يكون موصوفاً بها: من العلم، والقدرة، والحكمة، وسائر ما وصف به نفسه في كتابه." [٣].

وهكذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

"بين فيه التّوحيد الَّذي بعثه الله ـ جل جلاله ـ به قولاً وعملاً، فالتّوحيد القولي مثل: قوله في سورة الإخلاص: M ! " # $ L ، والتّوحيد العملي: M ! " # L[٤].

---

١) هو : عبيد الله بن محمَّد بن محمَّد بن حمدان العكبري، أبو عبد الله المعروف **بابن بطة العكبري** الحنبلي، القدوة الإمام، العابد، الفقيه ، المحدث، شيخ العراق، مات سنة (٣٨٧.)

٢) أي: إثبات وجود الرّب تعالى.

٣) الإبانة، لابن بطة (١٧٢/٢).

٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ (٣٦٧/١).

ويقول أيضاً: "فإن المقصود هنا بيان حال العبد المخلص لله ـ ﷻ ـ ، الَّذي يعبده، ويستعينه، فيعمل له، ويستعينه، ويحقق قوله: M 2 3 4 5 L[١] توحيد الألوهية وتوحيد الرّبوبية، كما سيأتي في (ثانياً).

وكذا يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

"وأما التّوحيد الَّذي دعت إليه رسل الله ـ ﷻ ـ ، ونزلت به كتبه، فوراء ذلك كله، وهو نوعان :

١. توحيد في المعرفة والإثبات .

٢. وتوحيد في المطلب والقصد .

فالأول: هو حقيقة ذات الرب ﷻ، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وعلوه فوق سماواته على عرشه، وتكلمه وتكليمه لمن شاء من عباده. وقد أفصح القرآن عن هذا النّوع جد الإفصاح .

والثّاني: مثل ما تضمنته سورة: M ! " # L، وقوله ﷻ: M : ; < = > ? @ A B L[٢]، وأول سورة تنزيل الكتاب وآخرها، وأول يونس، ووسطها، وآخرها، وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن، فهي متضمنة لنوعي التّوحيد"[٣].

إنَّ كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" التي هي أصل الدين وأساسه قد دلت على أقسام التوحيد الثلاثة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وشهادة أن لا إله إلا الله فيها الإلهيات، وهي الأصول الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأصول الثلاثة تدور عليها أديان الرسل وما أنزل إليهم، وهي

---

١) سورة الفاتحة (آية : ٥) .

٢) سورة آل عمران (آية : ٦٤).

٣) مدارج السّالكين لابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ (٣/٣٦٨).

الأصول الكبار التي دلت عليها وشهدت بها العقول والفطر(١)

ثانياً: التّلازم بين أنواع التّوحيد.

أما عن التّلازم بين أنواع التّوحيد: فيقال : إن بينها تلازماً من غير شك.

فتوحيد الرّبوبية مستلزم لتوحيد الألوهية والعبادة، فهو كالمقدمة من النّتيجة. فإنه إذا علم أنه ﷻ هو الرب وحده لا شريك له في ربوبيته، كانت العبادة حقه، الّذي لا ينبغي إلاّ له، فإنه لا يصلح أن يعبد إلاّ من كان رباً، خالقا، مالكاً، مدبراً. وما دام ذلك له، وجب أن يكون هو المعبود وحده .

وأما توحيد الألوهية فهو متضمن لتوحيد الرّبوبية، ومعنى كونه متضمناً له: أن توحيد الرّبوبية داخل في ضمن توحيد الألوهية ، فإن من عبد الله ـ ﷻ ـ وحده، ولم يشرك به شيئاً، لا بد أن يكون قد اعتقد أن الله ـ ﷻ ـ هو ربه ومالكه الّذي لا رب له غيره .

وأما توحيد الأسماء والصِّفات، وأنه شامل للنوعين، فهو يقوم على إفراد الله ﷻ بكل ماله من الأسماء الحسنى والصِّفات العليا الّتى لا تنبغي إلاّ له، ومن جملتها كونه رباً واحداً، لا شريك له في ربوبيته، وكونه إلهاً واحداً، لا شريك له في إلهيته. فاسم الرب لا ينصرف إلاّ إليه عند الإطلاق، فله الرّبوبية المطلقة الشّاملة لجميع خلقه(٢).

---

١) القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية / دار ابن عفان، القاهرة، مصر، الطبعة : الثالثة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ـ (ج١، ص٢٩).

٢) الكواشف الجلية على معاني الواسطية (ص: ٤٢١ – ٤٢٢) .

الفصل الثَّاني

توحيد الرّبوبية. وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف توحيد الرّبوبية.

المبحث الثاني: دلائل توحيد الرّبوبية.

المبحث الثالث : صلة توحيد الربوبية بتوحيد الألوهية.

المبحث الرابع : صلة توحيد الربوبية بالأسماء والصفات.

المبحث الأول: تعريف توحيد الرّبوبية.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف توحيد الربوبية لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الإقرار بتوحيد الربوبية دون غيره لا يكون به الشخص مسلماً.

المبحث الأول

تعريف توحيد الرّبوبية

المطلب الأول: تعريف توحيد الرّبوبية لغةً واصطلاحاً:

توحيد الرّبوبية لغةً: هو كلمة مركبة من كلمتين: الأولى: توحيد. والثّانية: ربوبية.

وقد سبق تعريف التّوحيد لغةً واصطلاحاً.

وأما الربوبية: فهي مصدر لكلمة رَبّ.

الربُّ: المالك، والمصلح، والسّيد، والمعبود[1].

الربوبية: مصدر رب يرب ربابة وربوبية[2].

يقول ابن فارس: " الراء والباء يدل على أصول:

فالأول: إصلاح الشيء والقيام عليه ...

والآخر: لزوم الشيء والإقامة عليه ..

والثالث: ضم الشيء للشيء.

ومتى أمعن النظر كان الباب كله قياساً واحداً " [3].

" والرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم " [4].

وجميع هذه المعاني ترجع إلى ثلاثة هي: المالك، والسيد، والمصلح، وقد أشار إلى ذلك ابن الأنباري[5] حيث قال: " الرب ينقسم على ثلاثة أقسام: يكون الرب المالك،

(١) الكليات، للكفوي (ص: ٤٦٦).

(٢) انظر: اشتقاق أسماء الله ـ ﷻ ـ للزجاجي (ص٣٢).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (ص٣٩٨).

(٤) لسان العرب (١/٣٩٩)، وانظر: تهذيب اللغة (٢/١٣٣٥)، الصحاح (١/١٣٠)، القاموس المحيط (ص١١١).

(٥) هو: محمد بن القاسم بن بشار، أبو بكر، المشهور بابن الأنباري، إمام مقرئ، ولغوي متفنن، من مؤلفاته: الزاهر في اللغة، وغريب الحديث، وعجائب علوم القرآن، وغيرها، توفي سنة ٣٢٨هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/٢٧٤)، شذرات الذهب (٢/٣١٥).

ويكون الرب السيد المطاع ... ويكون الرب المصلح".

والأرباب بمعنى الربوبية: الخلق والرزق والإحياء والإماتة، فهم لم يجعلوا لهم أرباباً مختلفين، لكن الرب بمعنى المربوب بالتلازم هذا يكون بالمعنى الأول، يعني المعبود[١]؛ كما في نحو قوله ﷻ: M > ? @ A BCD E F G L[٢]، وقوله ﷻ: M ٱتَّخَذُوٓاْ © وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا ﴿٣١﴾ L[٣].

ويطلق الرب في الشرع، ويراد به عين معناه في اللغة[٤].

وفي لسان العرب: الربُّ ينقسم ثلاثة أقسام: يكون الرب المالك، ويكون الرب السّيد المطاع؛ قال ﷻ: M p q r L أي: سيده، ويكون الرب المصلح، ربَّ الشّيء إذا أصلحه[٥].

ولا يقال: الربُّ مطلقاً إلاّ لله ـ ﷻ ـ المتكفل بمصلحة الموجودات، ويقال: رب الدار، ورب الفرس لصاحبها[٦].

الربّ: المالك. والربُّ: السّيد، ومنه قوله ﷻ: M © عِندَ رَبِّكَ L[٧].

والرب: المصلح، والمدبر، والجابر، والقائم، يقال لمن قام بإصلاح شيء وإتمامه: قد ربَّهُ، يربه، فهو رب له. والرب: المعبود، ومنه قول الشّاعر:

أرَبٌّ يبول الثّعلبانُ برأســــــه لقد ذلَّ من بالت عليه الثّعالب[٨].

---

١) قال الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ: (الرب، والإِلَه، في صفة الله ﷻ، متلازمة، غير مترادفة؛ فالرب، من الملك، والتربية بالنعم؛ والإِلَه، من التأله، وهو القصد، لجلب النفع، ودفع الضر بالعبادة؛ وكانت العرب تطلق الرب على: الإِلَه، فسموا معبوداتهم أرباباً، لأجل ذلك، أي: لكونهم يسمون الله رباً، بمعنى إلهاً). انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٢/٣).

٢) سورة يوسف (آية: ٣٩).

٣) سورة التوبة (آية: ٣١).

٤) انظر: لسان العرب (٤٠٠/١- ٤٠١).

٥) لسان العرب لابن منظور (٧٠/٦).

٦) المفردات للراغب (ص: ١٩٠).

٧) سورة يوسف (آية: ٤٢).

٨) الجامع لأحكام القرآن (١٨١/١).

أما عن تعريف الرّبوبية اصطلاحاً :

فيُعرِّفُ علماء السّلف الرّبوبية بتعاريفَ متفقة المعنى ، وإن اختلفت العبارات .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

"فهذه المعاني وما أشبهها من معاني ربوبيته ، وملكه ، وخلقه ، ورزقه ، وهدايته ، ونصره ، وإحسانه ، وبره ، وتدبيره ، وصنعه ، فهذا كله حق ، وهو محض توحيد الرّبوبية"[١].

ويقول ـ رحمه الله ـ :"الرب سبحانه: هو المالك، المدبر، المعطي، المانع، الضار، النافع، الخافض، الرافع، المعز، المذل" [٢].

ويقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ : "هو رب كل شيء ، وخالقه ، والقادر عليه ، لا يخرج شيء عن ربوبيته ، وكل من في السّماوات والأرض عبد له في قبضته ، وتحت قهره "[٣].

ويقول ـ رحمه الله ـ "الرب هو السيد، والمالك، والمنعم، والمربي، والمصلح، والله ـ جل جلاله ـ هو الرب بهذه الاعتبارات كلها" [٤].

وقد بين ابن حجر ـ رحمه الله ـ بعض معاني الرب فقال: " رب العالمين: أي مالك، أو سيد، أو مصلح، أو مربي، أو خالق، أو معبود " [٥].

وهو بهذا لم يخرج عما ذكره السلف وأهل اللغة في بيان معنى الرب، سوى تفسيره الرب بمعنى المعبود؛ فإنهما وإن كان بينهما تضمن وتلازم، إلا أنهما متغايران [٦].

ولفظ (رب) لا يطلق بغير الإضافة إلا على الله ـ عز وجل ـ.

---

١) مجموع فتاوى الشّيخ الإسلام ابن تيمية(٢٩٩/٢) .

٢) مجموع الفتاوى (٩٢/١) .

٣) مدارج السّالكين (٤٣/١) .

٤) بدائع الفوائد (١٣٢/٤) .

٥) فتح المبين (ص٨) .

٦) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢٤/١) وما بعدها، مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ (١٢١/٦)، وللاستزادة: حقيقة التوحيد والفروق بين الربوبية والألوهية للدكتور علي العلياني (ص١٠٥ وما بعدها).

يقول ابن قتيبة(١) ـ رحمه الله ـ : " لا يقال لمخلوق: هذا الرب معرفاً بالألف واللام كما تقال الله ـ جل جلاله ـ ، إنما يقال هذا رب كذا، فيُعرَّف بالإضافة، لأن الله ـ عز وجل ـ مالك كل شيء، فإذا قيل: الرب. دلت الألف واللام على معنى العموم، وإذا قيل لمخلوق: رب كذا، ورب كذا، نسب إلى شيء خاص؛ لأنه لا يملك شيئاً غيره" (٢).

وفي تقرير هذا المعنى يقول ابن حجر ـ رحمه الله ـ : " لا يطلق الرب بالألف واللام إلا على الله ـ عز وجل ـ خاصة، فأما مع الإضافة فيقال: رب المال، ورب الدار، وغير ذلك. وإنما كره للمملوك أن يقول لمالكه ربي؛ لأن في لفظه مشاركة لله ـ عز وجل ـ في الربوبية..." (٣).

وبناء على ما سبق فالمراد بتوحيد الربوبية: هو إفراد الله ـ عز وجل ـ بالخلق والملك (٤).

وإفراده سبحانه بالخلق يراد به: الإقرار والاعتراف بأنه ـ عز وجل ـ وحده خالق كل شيء، لا شريك له في ذلك.

وأما إفراده جل وعلا بالملك فيراد به أمران متلازمان:

الأول: الاعتراف بأنه ـ عز وجل ـ المالك للكون أجمع بما فيه لا شريك له في ملكه.

والثاني: أنه المدبر له، والمتصرف فيه، بما شاء لا شريك له في ذلك (٥).

وحول هذه المعاني في تعريف ابن تيمية ، وابن القيم، **نجد الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ يشير إليها**، فيقول ـ رحمه الله ـ: " أنْ نوحده بأفعاله، هذا أقر به المشركون، أن

---

(١) هو : عبدالله بن مسلم **بن قتيبة الدينوري**، أبو محمد، خطيب أهل السنة، وأحد أئمة السلف، ولد في بغداد سنة ٢١٣هـ ، من مؤلفاته: تفسير غريب القرآن، تأويل مختلف الحديث، الاختلاف في اللفظ، والرد على الجهمية وغيرها، قال الخطيب :كان ثقة دينا فاضلاً.وقال الذهبي : كان رأساً في علم اللسان العربي، والأخبار، وأيام الناس. توفي سنة ٢٧٦هـ . انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٦)، شذرات الذهب (١٦٩/٢)، وتاريخ بغداد(١٠/١٧٠)، وبغية الوعاة(٦٣/٢).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص٩) .

(٣) الفتاوى الحديثية (ص١٨٦)، وانظر: فتح الإله بشرح المشكاة (ص٦٨٦) .

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٣٣١/١٠)، مدارج السالكين (٣٤/١)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١٢٨/١- ١٢٩)، شرح النونية لابن عيسى (٢٦٩/٢)، القول المفيد لابن عثيمين (٥/١) .

(٥) انظر: المفيد لابن عثيمين (٥/١- ٧)، وفتاواه (١٨/١- ١٩).

نوحد الله بأفعاله"[١] ، ويبين الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في موضع آخر المراد بأفعال الله ـ جل جلاله ـ فيقول ـ رحمه الله ـ : "الذين بعث فيهم الرسول ﷺ مقرون بتوحيد الرّبوبية، يعترفون أن الله هو الخالق الرازق، وأن الله هو المحي المميت، وأنه هو المدبر لأمر هذا العالم، المتصرف فيه بما تقتضيه حكمته وإرادته، ومع هذا لم يدخلهم في الإسلام، فالمشركون يعترفون بأن الله يخلق، وهو الَّذي يرزق، وهو الَّذي يحيي، وهو الَّذي يميت، وهو الَّذي يدبر الأمور، ويعترفون أن الله هو الَّذي أوجد هذا العالم، وأوجد الأرضين، وما فيها من بحار، وجبال، وأشجار، وأنهار. وأوجد هذه السّموات بما فيها من كواكب ، وأقمار إلى غير ذلك، وأوجد الملائكة . يعترف المشركون بهذا، ولكن مع هذا لم يدخلهم في الإسلام، فالاعتراف بتوحيد الرّبوبية لا يدخلهم في الإسلام، حتى يعترفوا بتوحيد الألوهية، ويعملوا به" [٢].

ويقول الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى : M g h i j k l L [٣] : "هذا يفسر لكم التّوحيد، وهو: عبادة الله، وترك عبادة ماسواه، هذا هو التّوحيد. أما عبادة الله بدون ترك عبادة ما سواه، هذا لا يسمى توحيداً ؛ المشركون يعبدون الله، ولكن يعبدون معه غيره ؛ فصاروا مشركين، فليس المهم أن المسلم يعبد الله ــ جل جلاله ــ فقط، بل لا بد أن يعبد الله، ويترك عبادة ماسواه، وإلا لا يكون عابداً لله ــ جل جلاله ــ ، ولا موحداً ؛ فالذي يصلي ويصوم ويحج، ولكن لا يترك عبادة غير الله هذا ليس بمسلم، ولا تنفعه صلاة، ولا صيام، ولا حج، ولا غير ذلك ؛ لأنه لم يعتقد قوله تعالى : M J K L M N L [٤] وقوله تعالى : M g h i j k l L يعني : لا تعبدوا معه غيره." [٥]

---

١) شرح كشف الشّبهات للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ (ص : ١٧).

٢) المرجع السابق(ص : ١٧) .

٣) سورة الإسراء (آية : ٢٣) .

٤) سورة النّحل (آية : ٣٦) .

٥) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ ، أول باب في كتاب التّوحيد(تحت الطباعة).

المطلب الثَّاني : الإقرار بتوحيد الرّبوبية دون غيره لا يكون به الشّخص مسلماً.

إن توحيد الرّبوبية، والإقرار به يستلزم الإقرار بالألوهية، والأسماء والصِّفات، وتابع السّلف الصّالح في عقيدتهم ما دل عليه القرآن والسّنة، أن الإقرار بتوحيد الرّبوبية وحده لا يكفي، ولا يكون صاحبه مسلماً حتى يقَّر بتوحيد الألوهية [١].

يقول - رحمه الله - عن توحيد الرّبوبية :

"أمَّا توحيد الرّبوبية فقد اعترف به المشركون الَّذين بُعث فيه رسول الله ﷺ، ولم يدخلهم في الإسلام ؛ فهم مقرون بأن الله - جل جلاله - هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت، المتصرف في هذا العالم بما تقتضيه حكمته و إرادته، ومجرد الاعتراف بهذا لا يكون به الإنسان مسلماً ؛ قال تعالى: M **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ** ´ µ ¶ ¸ **مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ** L [٢]. أي : أفلا تفردونه بالعبادة، وتتركون عبادة ما سواه، فقوله تعالى: M **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ** L [٣]. أي : من ذا الَّذي ينزل من السّماء ماء المطر، فيشق الأرض شقاً بقدرته ومشيئته، فيخرج منها حباً، وعنباً، وقضباً، وزيتوناً، ونخلاً، وحدائق غلباً، وفاكهة وأباً، أإله مع الله ؟ فسيقولون الله، وتوحيد الرّبوبية قد فُطرت على قبوله والاعتراف به

---

١) توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية .وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وبيان ذلك أن من وحد الله إلها فذلك متضمن لتوحيده إياه ربا .، ومن وحد الله ربا فلا يكون موحدا لله إلا أن يأتي بتوحيد الألوهية . وتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية إذ أن من وحد الله خالقا مدبرا رازقا يبعث العباد فيدخل من أطاعه الجنة ويدخل من عصاه النار لزمه أن يفرد الله وحده بالعبادة فقوله تعالى : M V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b L (سورة مريم ، الآية : ٧)دعوة إلى الربوبية ثم إلزام بالألوهية تبعاً . فالأمر بالعبادة في الآية مترتب على الإقرار بالربوبية . فالآية ذكرت توحيد الألوهية والربوبية وأضافت إليهما توحيد الأسماء والصفات .رب السموات والأرض وما بينهما : ربوبية . فاعبده واصطبر لعبادته : ألوهية. .هل تعلم له سميا : أسماء وصفات.

٢) سورة يونس (آية : ٣١) .

٣) سورة يونس (آية : ٣١) .

قلوب بني آدم، فلم ينكره إلاّ شُذاذٌ قليلون من بني آدم، ففرعون[١] القائل: J I M L K [٢]، والقائل: L K M L P O N M [٣].

معترف في نفس الأمر بوجود الخالق الموجود لهذا العالم، كما حكى الله ـ ﷻ ـ عنه في قوله: M ! " # $ % & L [٤]، وفيما حكى الله ـ ﷻ ـ عن نبيه موسى عليه السلام في قوله لفرعون: M **قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ** ´ µ ¶ ¸ **وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ** L [٥]"[٦]

ويقول ـ رحمه الله ـ في شرحه لكشف الشّبهات:

"إقرار المشركين في زمان النّبي ﷺ بتوحيد الرّبوبية لم يدخلهم في الإسلام، بل قاتلهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم، مع اعترافهم وإقرارهم بتوحيد الرّبوبية، ومع هذا لم يكونوا بهذا مسلمين؛ لأنهم لم يخلصوا العبادة لله ـ ﷻ ـ وحده لا شريك له، بل جعلوا مع الله شريكاً له، وكانوا يعبدون الملائكة، وعيسى، وعزيراً، والأشجار، وغيرها، ويرجون خيرها وبركتها، ويظنون أنها ترفع حوائجهم إلى الله، وهذا الدعاء لاينفعهم ـ حتى ولو كانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً ـ ما دام أنهم غير معترفين بتوحيد العبادة. فلا بد من توحيد العبادة الّذي حقيقته أن لا يعبد إلاّ الله، ولا يستعان إلاّبالله ـ ﷻ ـ ، والذي حقيقته بعبارة أخرى هو: أن نوحده بأفعالنّا. هذا هو توحيد العبادة. ولهذا كثيراً ما يحتج الرب ﷻ على عباده بما اعترفوا به من توحيد الرّبوبية على ما

١) فرعون هو أعظم الذين استكبروا ثم هامان وقارون وأن قومهم كانوا لهم تبعاً وفرعون هو متبوعهم الأعظم الذي قال: "**ما علمت لكم من إله غيري**" ، وقال: " **أنا ربكم الأعلى**". انظر : جامع الرسائل أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، بدون دار النشر ،مصر ، تحقيق : محمد سالم(ج ١ ،ص ٢١٥).

٢) سورة النّازعات (آية : ٢٤) .

٣) سورة القصص (آية : ٣٨).

٤) سورة النّمل (آية : ١٤) .

٥) سورة الإسراء (آية : ١٠٢).

٦) التّوحيد وبيان العقيدة السّلفية النّقية، سماحة الشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ .

أنكـروه مـن توحيـد الألوهيـة في آيـات كـثيرة: M قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ © سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ L [١]، وكـذلك: M وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ © ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ L [٢] معترفين بأن الله ـ ﷻ ـ هو الَّذي خلق الأرض ومن فيها، وخلق السّموات ومن فيها، وأن الَّذي خلقها هو العزيز العليم، ومع هذا لم يصرفوا العبادة للعزيز العليم، بل جعلوا للعزيز العليم شريكاً يرفع حوائجهم إلى العزيز العليم، يرجون خيره، ويرجون بركته، ويقولون: إنه واسطة بيننا وبين الله. فاعترافهم بأن الله هو الَّذي خلق السّماوات والأرض لا يدخلهم في الإسلام ـ حتى ولو كانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً ـ ما دام أنهم لم يصرفوا العبادة لله، وأنهم جعلوا بينهم وبين الله وسائط، سواء كان ذلك الواسطة نبياً، أو ملكاً، أو ولياً، أو جنياً، أو شجراً، أو صالحاً، أو حجراً، أو غير ذلك. فهم بهذا مشركون، تستحل دماؤهم وأموالهم؛ كما فعل رسول الله ﷺ مع مشركي العرب. والله أعلم." [٣]

---

١) سورة المؤمنون (آية: ٨٤ — ٨٥).

٢) سورة الزخرف (آية: ٩).

٣) شرح كتاب كشف الشّبهات للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ (ص: ٢١).

المبحث الثَّاني :

دلائل توحيد الرّبوبية :

توحيد الربوبية يتضمن أمرين :

أحدها : الإيمان بوجوده سبحانه.

والآخر: الإيمان بربوبيته جل وعلا.

يرى ابن حجر ـ رحمه الله ـ أن معرفة الله ـ عز وجل ـ كسبية نظرية لا فطرية ضرورية، وأن طريقها النظر، وأنهما أول الواجبات العينية .

حيث يقول: " معرفة الله ـ عز وجل ـ والنظر المؤدي إليها هما أول الواجبات العينية، وأساس جميع الفروض، وغيرها، وسائر أصول الشريعة، وفروعها" [١].

ويقول ـ رحمه الله ـ: "يجب شرعاً النظر لمعرفة الله ـ عز وجل ـ الواجبة لذاتها ... فهو أول واجب، وقال جمع محققون أوله القصد إلى ذلك النظر، وهي أول واجب ذاتي" [٢].

ويقول: "قال الإمام[٣] في الإرشاد: " أول ما يجب على البالغ العاقل باستكماله سن البلوغ ـ أو الحلم ـ شرعاً القصد إلى النظر الصحيح المفضي إلى العلم بحدوث العالم" ... وما قاله لا خلاف فيه" [٤].

وقد اختلف الناس في معرفة الله ـ عز وجل ـ هل هي كسبية نظرية أم فطرية ضرورية.

فذهب عامة السلف — رحمهم الله — إلى أنها فطرية ضرورية [٥].

وذهب جمهور المتكلمين من المعتزلة [١] — ومن تبعهم من الشيعة الإمامية[٢]

---

(١) الفتاوى الحديثية (ص٤٣٧) .

(٢) التعرف (ص١٠٣- ١٠٤) .

(٣) المراد به أبو المعالي الجويني، وكلامه المذكور في كتابه الإرشاد (ص٢٥) .

(٤) الفتاوى الحديثية (ص٢٧٤- ٢٧٥) .

(٥) انظر: درء التعارض (١٢٦/٣) (٤٤٤/٨- ٤٤٩، ٥٣٢- ٥٣٣)، مجموع الفتاوى (٤٨/١- ٤٩) (٧٢/٢)، شفاء العليل لابن القيم (٨٢١/٢)، مفتاح دار السعادة (٢٨٠/١)، جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢٥٦/٢)، فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٧٠/١- ٧١)، أضواء البيان للشنقيطي (٤١٠/٣)، وللاستزادة: فطرية المعرفة للدكتور أحمد سعد حمدان.

والزيدية[٣]– والأشاعرة[٤] والماتريدية[٥] إلى أنها كسبية نظرية[٦] .

والصحيح : ما ذهب إليه عامة السلف – رحمهم الله – من أن معرفة الله ـ ﷻ ـ في الأصل فطرية ضرورية، والاكتساب والنظر طارئان عليها ؛ إذ قد يعرض للفطرة ما يفسدها فتحتاج حينئذٍ إلى الاكتساب والنظر.

والمراد بالنظر الذي قد يحتاج إليه في تقريرها هو مطلق النظر لا النظر العقلي الذي أوجبه المتكلمون – كما سيأتي - .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في تقرير ذلك : "الصحيح أنها فطرية... ولكن قد يعرض للفطرة ما يفسدها، فتحتاج حينئذٍ إلى النظر، فهي في الأصل ضرورية، وقد تكون نظرية، ثم المعرفة الواجبة لا تتعلق بنظر خاص، بل قد تحصل ضرورية"[٧].

ويقول أيضاً : "المعرفة وإن كانت ضرورية في حق أهل الفطرة السليمة، فكثير من الناس يحتاج فيها إلى النظر، والإنسان قد يستغني عنه في حال، ويحتاج إليه في حال" [٨].

والأدلة على توحيد الربوبية متضافرة من الكتاب، والسنة، والفطرة، والعقل.

---

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص٣٩، ٤٦، ٥٢)، والمحيط بالتكليف له (ص٢٦)، المغني في أبواب العدل والتوحيد له أيضاً (١٢/ ٢٣٠، ٣٥٢)، الكشاف للزمخشري (١/ ٥٩١) .

(٢) انظر : أوائل المقالات للمفيد (ص٦٤)، والاقتصاد للطوسي (ص٢٥- ٢٦)، والتبيان في تفسير القرآن له أيضاً (٨/ ٢٤٣، ١٧٢) (٩/ ٢٣٧) .

(٣) الزيدية هي : فرقة من فرق الشيعة، ينتسبون زوراً إلى زيد بن علي المتوفى سنة (١٢٢هـ) ويقولون بإمامته، وبإمامة من اجتماع فيه العلم والزهد والشجاعة ظاهراً من ولد فاطمة . انظر : التنبيه والرد للملطي (ص٤٥)، مقالات الإسلاميين (١/ ١٣٦)، الفرق بين الفرق (ص٢٩)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٥٤)، التبصير في الدين (ص٢٤)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٧٧).

(٤) انظر : الإنصاف للباقلاني (ص١٣)، الإرشاد للجويني (ص٢٥)، الشامل له أيضاً (ص٢١)، المواقف للإيجي (ص٣٢)، وشرحها للجرجاني (ص١/ ٢٧٥)، شرح المقاصد (١/ ٢٧١)، حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد (ص٣٦)، وحاشية الصاوي عليها (ص٥٥) .

(٥) انظر : التوحيد للماتريدي (ص١٢٩)، إشارات المرام للبيضاوي (ص٥٣) .

(٦) انظر : المعالم الدينية في العقائد الإلهية ليحيى بن حمزة (ص٥٣)، ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة للناصر لدين الله (ص١٢، ١٣)، رسائل الشريف المرتضي المجموعة الأولى (ص١٢٧- ١٢٨) .

(٧) مجموع الرسائل الكبرى (٢/ ٣٤١)، وانظر : (٢/ ٣٤٥- ٣٤٦)، مجموع الفتاوى (٢/ ٦) (٦/ ٧٣).

(٨) درء التعارض (٨/ ٨) .

فمن الكتاب: قوله ـ ﷻ ـ: M 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C E F H J K L M N O P Q R L[1].

فالله ـ ﷻ ـ أشهد ذرية آدم على ربوبيته سبحانه فأقروا له بذلك واعترفوا ثم أشهدهم على هذا الاعتراف، وسواء كان هذا العهد قبل الخروج إلى الدنيا في عالم الذر أو كان عهد الفطرة – على خلاف بين أهل العلم – فإن ذلك لا يؤثر في دلالة الآية على المقصود[2].

وقوله ـ ﷻ ـ: M **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا** © **ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ** ¶ **ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** L[3].

وقد أجمع المفسرون من السلف على أن المراد بفطرة الله ـ ﷻ ـ في الآية دين الإسلام، ودين الإسلام متضمن لمعرفة الله ـ ﷻ ـ والإقرار به [4].

وقوله ـ ﷻ ـ: M D E F G H I J K L M N P Q R S T U V W X Z [\ ] ^ _ ` a L[5].

فالرسل دعوا أقوامهم ابتداءً إلى توحيد الألوهية وإفراد الله ـ ﷻ ـ بالعبادة، ولو لم يكن الإقرار بالله ـ ﷻ ـ وربوبيته أمراً فطرياً لابتدؤوا أقوامهم بذلك؛ لأن الأمر بتوحيده ـ ﷻ ـ في عبادته فرع عن الإقرار به وبربوبيته[6]، ولصح لأعداء الرسل عند دعوتهم لهم أن يقولوا: نحن لم نعرفه أصلاً، فكيف تأمروننا بعبادته. ولما لم يحدث ذلك منهم دل على أن معرفتهم بالله ـ ﷻ ـ مستقرة في فطرهم [7].

---

(١) سورة الأعراف (آية: ١٧٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٤٨٦/٨ - ٤٨٧)، والروح لابن القيم (٥٥٥/٢ - ٥٥٩).

(٣) سورة الروم (آية: ٣٠).

(٤) انظر: التمهيد لابن عبدالبر (٧٢/١٨)، درء التعارض (٣٦٧/٨).

(٥) سورة النحل (آية: ٣٦).

(٦) انظر: درء التعارض (١٢٩/٣ - ١٣٠).

(٧) انظر: المصدر السابق (٤٤٠/٨).

ولهذا احتج عليهم ـ ﷻ ـ بما أقروا به — وهو الربوبية — على ما أنكروه — وهو الألوهية — في آيات كثيرة، كقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: M قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ ´ µ ¶ ¸ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ L[1]، وقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: Mقَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ © وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ ´ µ ¸ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ L[2] [3].

ومن السُّنَّة :

قوله ـ ﷺ ـ: « **ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**» ثم يقول أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ راوي الحديث: «**فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم**»[4].

فالحديث دل على أن كل مولود يولد على الفطرة، والفطرة هي الإسلام — كما سيأتي[5] — والإسلام متضمن لمعرفة الله ـ جل جلاله ـ والإقرار به.

وقوله ـ ﷺ ـ: « **ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مالٍ نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً**»[6].

فالحديث دل على أن الله ـ ﷻ ـ خلق الخلق على الحنيفية، والحنيفية هي الإسلام،

---

(١) سورة يونس (آية: ٣١- ٣٢).
(٢) سورة إبراهيم (آية: ١٠).
(٣) انظر: مجموعة الرسائل الكبرى (٢/٣٣٧)، أضواء البيان (٢/٤٢٩- ٤٣٠).
(٤) أخرجه البخاري (١/٤٠٣ برقم ١٣٥٨)، ومسلم (٤/٢٠٤٧ برقم ٢٦٥٨).
(٥) انظر: (ص١١٠).
(٦) أخرجه مسلم (٤/٢١٩٧ برقم ٢٨٦٥).

ومن مقتضياته أن الله ـ عز وجل ـ خلق الخلق مقرين به معترفين بربوبيته[1].

وأما الفطرة: فإن الخلق كلهم، مؤمنهم وكافرهم يلجؤون إلى الله ـ عز وجل ـ حال الشدة والكرب، وذلك يدل على أن الخلق كلهم على اختلاف أديانهم مفطورون على معرفة الله ـ جل جلاله ـ والإقرار به[2].

وأما العقل: فمن المعلوم أن كل نفس قابلة للعلم وإرادة الحق، ومعلوم أن مجرد التعليم والتحضيض لا يوجب العلم والإرادة، لولا أن في النفس قوة تقبل ذلك، وإلا فلو علم أحدٌ البهائم والجمادات وحضضها، لم يحصل لها ما يحصل لبني آدم مع أن السبب في الموضعين واحد، فعلم أن ذلك لاختلاف القوابل.

ومعلوم أن إقرار النفس بالخالق ممكن من غير سبب منفصل من خارجها، وتكون الذات كافية في ذلك، فإذا كان المقتضي لذلك قائماً في النفس، وقُدّر عدم المعارض، فإن المقتضي السالم يوجب مقتضاه، فعلم أن الفطرة السليمة إذا لم يحصل لها ما يفسدها، كانت مقرة بالخالق، عابدة له[3].

وقد دل العقل على وجود الله سبحانه وتعالى وانفراده بالربوبية وكمال قدرته على الخلق وسيطرته عليهم ، وذلك عن طريق النظر والتفكر في آيات الله الدالة عليه . وللنظر في آيات الله والاستدلال بها على ربوبيته طرق كثيرة بحسب تنوع الآيات وأشهرها طريقان :

الطريق الأول : النظر في آيات الله في خلق النفس البشرية وهو ما يعرف بـ (دلالة الأنفس) ، فالنفس آية من آيات الله العظيمة الدالة على تفرد الله وحده بالربوبية لا شريك له ، كما قال سبحانه وتعالى: M r s t u v w L[4] ، وقال سبحانه وتعالى: M 8 9 : ; L[5] ، ولهذا لو أن الإنسان أمعن النظر في نفسه وما فيها من عجائب صنع الله لأرشده ذلك إلى

---

(١) انظر: التمهيد (١٨/٧٥)، درء التعارض (٨/٣٦٩)، مجموع الفتاوى (١٦/٣٤٥) .

(٢) انظر: درء التعارض (٨/٥٣٢- ٥٣٣) .

(٣) انظر: درء التعارض (٨/٤٦١)، وانظر مزيداً من الأدلة العقلية على ذلك في درء التعارض (٨/٤٥٦-٤٦٨)، وشفاء العليل (٢/٨٢٥- ٨٣٦)، وشرح الطحاوية (١/٣٤- ٣٥) .

(٤) سورة الذاريات ، الآية : ٢١.

(٥) سورة الشمس ، الآية : ٧.

أن له ربا خالقا حكيما خبيرا ؛ إذ لا يستطيع الإنسان أن يخلق النطفة التي كان منها ؟ أو أن يحولها إلى علقة ، أو يحول العلقة إلى مضغة ، أو يحول المضغة عظاما ، أو يكسو العظام لحما ؟

الطريق الثاني : النظر في آيات الله في خلق الكون وهو ما يعرف بـ (دلالة الآفاق) ، وهذه كذلك آية من آيات الله العظيمة الدالة على ربوبيته، قال ﷻ: M **سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾**[1] .

ومن تأمل الآفاق وما في هذا الكون من سماء وأرض ، وما اشتملت عليه السماء من نجوم وكواكب وشمس وقمر ، وما اشتملت عليه الأرض من جبال وأشجار وبحار وأنهار ، وما يكتنف ذلك من ليل ونهار وتسيير هذا الكون كله بهذا النظام الدقيق ؛ دله ذلك على أن هناك خالقا لهذا الكون ، موجدًا له مدبِّرًا لشؤونه ، وكلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات وتغلغل فكره في بدائع الكائنات علم أنها خُلقت للحق وبالحق ، وأنها صحائف آيات ، وكتب براهين ودلالات على جميع ما أخبر به الله عن نفسه وأدلة على وحدانيته .

وقد جاء في بعض الآثار أن قوماً أرادوا البحث مع الإمام أبي حنيفة في تقرير توحيد الربوبية ، فقال لهم ـ رحمه الله ـ: " أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام وغيره بنفسها وتعود بنفسها ، فترسو بنفسها وترجع ، كل ذلك من غير أن يديرها أحد ؟ ".

فقالوا : " هذا محال لا يمكن أبدا . فقال لهم : إذا كان هذا محالاً في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله ؟ " .

فنبه إلى أن اتساق العالم ودقة صنعه وتمام خلقه دليل على وحدانية خالقه وتفرده .

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٣.

وهناك أدلة استدل بها الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ على توحيد الرّبوبية ، منها قوله ﷻ: M قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ L (١) أي: من ذا الَّذي ينزل من السّماء ماء المطر، فيشق الأرض شقاً بقدرته ومشيئته، فيخرج منها حباً، وعنباً، وقضباً، وزيتوناً، ونخلاً، وحدائق غلباً، وفاكهة وأبا، أإله مع الله ؟ فسيقولون: الله، وقوله: Mأَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ ´ L(٢) أي: الَّذي وهبكم هذه القوة السّامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها، ولسلبكم إياها، كقوله ﷻ: M قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ L (٣)، وقوله ﷻ: M , - . / 0 1 2 L (٤)، وقوله ﷻ: M | { ~ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ L (٥) بقدرته العظيمة، ومنته العميمة، وقوله ﷻ: Mوَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ L [يونس: ٣١] أي: بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير، ولا يجار عليه، وهو المتصرف الحاكم الَّذي لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل، وهم يسألون، M ` a b c d f g h i j L [الرحمن: ٢٩]، فالملك كله العلوي والسّفلي، وما فيها من ملائكة، وإنس، وجان فقيرون إليه، عبيد له، خاضعون لديه Mفَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ L [يونس: ٣١]، أي: وهم يعلمون ذلك، ويعترفون به، Mقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ L [المؤمنون: ٨٧]، أي: أفلا تخافون أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم؛ فكثيراً ما يحتج ﷻ على المشركين بما اعترفوا به من توحيد الرّبوبية على ما أنكروه من توحيد الألوهية، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً: M قُلْ لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ © سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ ´ µ ¶ ¸ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ

---

(١) سورة يونس (آية: ٣١).

(٢) سورة يونس (آية: ٣١).

(٣) سورة الملك (آية: ٢٣).

(٤) سورة الأنعام (آية: ٤٦).

(٥) سورة آل عمران (آية: ٢٧).

تُسۡحَرُونَ L [١]، وتوحيد الرّبوبية قد فطرت على قبوله والاعتراف به قلوب بني آدم، فلم ينكره إلاّ شُذَّاذ قليلون من بني آدم، ففرعون القائل: M I J K L [النازعات: ٢٤]، والقائل: MK L M N O P L [سورة القصص: ٣٨] معترف في نفس الأمر بوجود الخالق الموجد لهذا العالم، كما حكى الله عنه في قوله ﷻ: M ! " # $ % & ( ) * + , L [سورة النمل: ١٤] وفيما حكي الله ـ ﷻ ـ عن نبيه موسى ﷺ في قوله لفرعون: M **قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ** ´ µ ¶ **وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ** L [٢].

بهذه الأدلة وبغيرها من النّصوص يستدل الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ على توحيد الرّبوبية، وبعد طول بحث ونظر لم أجد للشيخ ـ رحمه الله ـ على حسب ما تيسر لي من آثار للشيخ سوى هذه الأدلة، ولم أجد له أدلة عقلية أو نظرية ممّا يذكره غيره، والعلم عند الله.

---

(١) سورة المؤمنون (آية: ٨٤- ٨٩)

(٢) شرح كشف الشّبهات للشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ (ص: ١٩- ٢٠).

المبحث الثالث:

صلة توحيد الربوبية بتوحيد الألوهية

بعد أن عرفنا حقيقة التوحيد وأنواعه التي هي توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، يحسن بنا أن نعرف العلاقة بين هذه الأنواع، وصلتها ببعضها، وهل هي متلازمة في الوجود بمعنى أن بعضها لا يوجد بدون الآخر؟ أم أنها غير متلازمة، وهل يغني اعتقادُ بعضها فقط أم لابد من اعتقاد جميعها.

والحقيقة أن بينها علاقة متينة، وصلة قوية.

فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؛ لأن من اعترف بأن الله ـ ﷻ ـ هو الخالق الرازق المدبر المحيين، المميت، وأنه رب كل شيء ومليكه، يحتم عليه ذلك أن يخلص العبادة له ـ ﷻ ـ بجميع أنواعها؛ لأنه ﷻ ذو الألوهية المستحق للعبادة وحده دون سواه؛ لأن جميع الأمور بيده، فلا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا هادي لمن أضل، ولا ضال لمن هدى سواه ـ ﷻ ـ ، ولهذا نجد الآيات الواردة في القرآن الكريم في توحيد الربوبية تحث وترشد إلى عبادة الله وحده، ونبذ عبادة ما سواه، وعدم صرف أي نوع من أنواع العبادة لغيره ـ ﷻ ـ ، كما قال ﷻ: M l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا © فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ L [1].

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره لهذه الآية: شرع ﷻ في بيان وحدانية ألوهيته، بأنه ـ ﷻ ـ هو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود، وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة بأن جعل لهم الأرض فراشاً أي مهداً كالفراش مقررة موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات، والسماء بناءً، وهو السقف، كما قال ﷻ في الآية الأخرى: M وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ © مَّحۡفُوظًاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ L [2]. ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ، والمراد به السحاب ههنا في وقته، عند احتياجهم إليه، فأخرج به من أنواع الزروع، والثمار ما هو

---

(١) سورة البقرة (آية: ٢١- ٢٢).

(٢) سورة الأنبياء (آية: ٣٢).

مشاهد رزقاً لهم، ولأنعامهم كما قرر هذا في غير موضع من القرآن، ومن أشبه آية بهذه ، آية قوله ﷻ: M h i j k l m n o p q r s t u w x y { | } ~ ﴿٦٤﴾ L[1]

ومضمونه أنه الخالق الرازق، مالك الدار وساكنيها، ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده، ولا يشرك به غيره، ولهذا قال ﷻ: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾، وفي الصحيحين[2]، عن ابن مسعود قال: قلت: **يا رسول الله، أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك ...»** الحديث[3].

وقد أوضح ابن رجب ـ رحمه الله ـ هذا المعنى حيث قال: "... فإن من تفرد بخلق العبد، وبهدايته، وبرزقه، وإحيائه، وإماتته في الدنيا، وبمغفرة ذنوبه في الآخرة، مستحق أن يفرد بالألوهية، والعبادة، والسؤال، والتضرع، والاستكانة. قال ﷻ: M وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ L، وقوله ﷻ: M o p q r s t u v x y z { | } L"[4][5].

وقال أيضاً ـ رحمه الله ـ: "... وتحقيق هذا يقتضي انقطاع العيد عن التعلق بالخلق وعن سؤالهم واستعانتهم ورجائهم بجلب نفع أو دفع ضر، وخوفهم من إيصال ضر أو منع نفع، وذلك يستلزم إفراد الله ـ ﷻ ـ بالطاعة والعبادة أيضاً ... وأن تقدم طاعته على طاعة الخلق كلهم جميعاً .."[6].

---

(١) سورة غافر (آية : ٦٤).
(٢) أخرجه البخاري (٤/١٦٢٦ برقم ٤٢٠٧)، ومسلم (١/٩٠ برقم ٨٦).
(٣) تفسير ابن كثير (١/٥٧).
(٤) سورة الروم (آية : ١٢، ٢٢).
(٥) ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف، تأليف الدكتور: عبدالله بن سليمان الغفيلي، تقديم الشيخ: صالح بن فوزان الفوزان، والشيخ: حماد بن محمد الأنصاري، المجلد الثاني، دار المسير (ص١٥٠).
(٦) نور الاقتباس (ص٨٠).

وقال أيضاً ـ رحمه الله ـ: ... "فإذا تحقق العبد تفرد الله وحده بالنفع وبالعطاء والمنع أوجب ذلك إفراده بالطاعة والعبادة ويقدم طاعته على طاعة الخلق كلهم جميعاً، كما يوجب ذلك أيضاً إفراده ـ ﷻ ـ بالاستعانة به، والطلب منه ..."[١].

فمن أقر بتوحيد الربوبية ولم يقر بتوحيد الألوهية، فإن ذلك لا ينفعه شيئاً؛ لأن المشركين كانوا مقرِّين بهذا النوع من التوحيد كما ذكر الله ـ ﷻ ـ ذلك في القرآن الكريم في آيات كثيرة .

منها قوله ﷻ: M قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ ´ µ ¶ ¸ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ L[٢]، ومنها قوله ﷻ: M قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ © ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ ´ µ ¶ ¸ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ L[٣] .

وغيرها من الآيات ، و مع هذا لم ينفعه هذا الاعتراف ؛ لأنهم لم يوحدوا الله ـ ﷻ ـ بالعبادة كما قال ﷻ: M 9 : ; < = > ? @ L[٤]، وقال ﷻ: M V W X Y [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o q r s t u v w x y L[٥]

إذاً من اعترف بتوحيد الربوبية يلزمه أن يخلص العبادة لله وحده دون سواه، ومن لم يفعل ذلك فإن إقرار بتوحيد الربوبية لا ينفعه شيئاً كما لم ينفع المشركين من قبل.

وأما توحيد الألوهية الذي يسمى توحيد العبادة، ويسمى أيضاً بتوحيد القصد والطلب، فإنه متضمن لتوحيد الربوبية، ومعنى كونه متضمناً له أن توحيد الربوبية داخل في ضمن توحيد الألوهية لأن من عبد الله وحده لا شريك له، وأخلص العبادة له لابد أن

---

(١) المصدر السابق (ص٧٩) .

(٢) سورة يونس (آية : ٣١) .

(٣) سورة المؤمنون (آية : ٨٤- ٨٩) .

(٤) سورة يوسف (آية : ١٠٦) .

(٥) سورة الزمر (آية : ٣) .

يكون قد اعتقد بأن الله رب كل شيء وملكيه، وأنه لا رب سواه ولا مالك غيره، فهو يعبده لأنه يعلم أنه مستحق للعبادة دون سواء .

ولذلك نجد الآيات الكثيرة بين أن الآلهة التي عبدها المشركون من دون الله ليس بيدها شيء، وأنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً فهي لا تملك ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

ومن تلك الآيات قوله سبحانه وتعالى: M O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b L[1]، وقال سبحانه وتعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 L[2].

فهذه الآيات تبين للمشركين أن آلهتهم التي يعبدون من دون الله غير مستحقة للعبادة؛ لأن الذي يستحق للعبادة هو من بيده الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والضر، والنفع، وهو الله ـ عز وجل ـ وحده .

وقد قال الشيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ في رسالة في التوحيد كما أسلفنا : " اعلم أن التوحيد الذي دل عليه القرآن والسنة وأجمع عليه سلف الأمة، ثلاثة أقسام :

§ توحيد الربوبية.

§ توحيد الألوهية.

§ توحيد الأسماء والصفات[3].

وتوحيد الألوهية لا يصح بدون توحيد الربوبية لأن من عبد الله وحده ولم يشرك به شيئاً في عبادته لكنه مع ذلك اعتقد أن لغير الله تأثير في شيء من دفع ضر أو جلب نفع أو

---

(١) سورة النحل (آية : ٢٠- ٢١) .

(٢) سورة النحل (آية : ٧٣) .

(٣) مجلة التوعية الإسلامية، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السنة التاسعة، العدد الثالث، رسالة في التوحيد، سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد ـ رحمه الله ـ، الحلقة الأولى، الجمعة ١٤٠٣/١١/١٨هـ(ص١٧).

تصرف فعبادته لا تغني عنه شيئاً. يقول ابن أبي العز- رحمه الله -[1]: التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الألوهية المتضمن توحيد الربوبية[2].

وبهذا نعلم التلازم بين هذه الأقسام الثلاثة من التوحيد، فمن أقر بتوحيد الربوبية لزمه أن يقر بتوحيد الألوهية، وبتوحيد الأسماء والصفات، ولذلك لما أتى الشيخ ابن حميد - رحمه الله - بشرح قوله تعالى M أَمَّن © ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ ´ µ ¶ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ L[3] قال ــ ~ ــ: "معلوم أن القلوب مفطورة على التوجه إلى خالقها وباريها، ولا سيما عند الشدائد، فإن الإنسان إذا اضطر ووقع في ملمة، اتجه إلى خالقه وباريه، فالرب يحتج عليهم ويقول إنكم تسألوني عند وقوع الحاجة وحصول الاضطرار، ثم تكفرون بي في حالة الرخاء أما تتذكرون ولو تذكراً قليلاً به ترجعون إلى عقولكم ....ألخ" .

ويفهم من شرح الشيخ ــ ~ ــلهذه الآية، أن هؤلاء المشركين يثبتون توحيد الربوبية، بدليل أنهم يدعونه في حالات الشدة والضيق، والعسر وهم لو لم يعلموا يقيناً أن هناك رب يستجيب الدعوات، ويكشف الكربات، لم يتجهوا إليه بالدعاء ، وهم في حال الشدة يثبتون توحيد الألوهية والربوبية، أما في حالة الرخاء يثبتون توحيد الربوبية ودليل هذا في القرآن صريح وظاهر للعيان في استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية كقول تعالى: Mوَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ © وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ ´ µ ¶ ¸ L[4] ففي هذه الآية على الكفار الذي يقرون بتوحيد الربوبية ولا يحققون توحيد الألوهية فمادام أنكم تعترفون بالرب وهو الخالق، فهو المستحق للعبادة بداهةً بدون تفكير.

---

(١) هو: علي بن علي بن **محمد بن أبي العز** الحنفي الدمشقي، عالم فقيه تولى القضاء بدمشق ثم بالديار المصرية، واستفاد من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم كثيراً، له كتب مفيدة نافعة منها: شرح العقيدة الطحاوية، والإتباع، توفي سنة ٧٩٢هـ - ~ .
انظر: الدرر الكامنة (٣/ ٨٧)، وشذرات الذهب (٦/٣٢٦).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٦/٣٢٦) .

(٣) سورة النمل (آية : ٦٢) .

(٤) سورة لقمان (آية : ٢٥) .

المبحث الرابع

صلة توحيد الربوبية بتوحيد الأسماء والصفات

وأما توحيد الأسماء والصفات فإنه مستلزم للنوعين الماضيين ؛ لأن من اعترف بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا ، وأنه لا نظير، ولا شبيه، ولا مثيل له في ذلك، يلزمه أن يعترف بأنه رب واحد لا شريك له، ويلزمه أيضاً أن يخلص العبادة له وحده دون سواه .

كما أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الأسماء والصفات ؛ لأن من أخلص العبادة لله وحده يعتقد أن الله واحد في أسمائه وصفاته مع عدم المثيل، والنظير، والشبيه له في ذلك، وإلا فلا معنى لعبادته بدون ذلك .

وبهذا يتبين أن التوحيد الصحيح هو الإتيان بأنواع التوحيد كلها ؛ لأنها مرتبطة بعضها بعض، ولا يتحقق التوحيد الصحيح إلا بها جميعاً. وهو ما جاءت به الآيات الكثيرة في كتاب الله ـ ﷻ ـ وجاءت به السنة النبوية .

وهذا ما قرره علماء السلف رحمهم الله تعالى .

يقول الحافظ ابن القيم ـ رحمه الله ـ: وملاك السعادة والنجاة والفوز بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما مدار كتاب الله ـ ﷻ ـ ، وبتحقيقهما بعث الله ـ ﷻ ـ رسوله ـ ﷺ ـ ، وإليهما دعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم من أولهم إلى آخرهم...[١].

ويقول الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ في معرض كلامه من أنواع التوحيد: ... وهي متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر، فما ذاك إلا أنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب[٢][٣].

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية (ص٢٧) .

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص٩٣) .

(٣) ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف، تأليف الدكتور: عبدالله بن سليمان الغفيلي، تقديم الشيخ: صالح بن فوزان الفوزان، والشيخ: حماد بن محمد الأنصاري، المجلد الثاني، دار المسير(ص ١٥٣).

ويقرر الشيخ ابن حميد ـ ~ ـ الصلة والارتباط الوثيق والعميق بين توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وأن بينهما اتصال من حيث دلالة الالتزام ودلالة التضمن ... مبيناً ـ ~ ـ هذا قائلاً : " ومن أمثلته في حق الله ﷻ ، أن من أسماء الله عز وجل الرحمن فدلالة التضمن دلت على إثبات الذات " أي الربوبية " فلا يمكن وجود الرحمة بلا ذات ودلالة الالتزام من العلم ، فلا يمكن أن يرحم أحداً دون أن يعلمه. فإذا أثبتنا لله الرحمة فمِن لازمها أن نثبت له العلم ، ونثبت له بقية الصفات[1] .

وبهذا نعرف أن الشيخ ـ ~ ـ من سياقه ، بتلازم توحيد الربوبية بتوحيد الأسماء والصفات وأن الشخص حينما يدعو الرحمن بالرحمة أو يدعوه باسمه يا غفار ، يا رحيم يا كريم ، ويا قدوس ، أنها كلها ترجع إلى مسمى واحد وهو الرب ﷻ ، الله ـ ﷻ ـ ، أي أن هذه الأسماء والصفات سواء كانت التسعة والتسعين ، أوما ثبت في القرآن والسنة الصحيحة ثبت أن لله ـ ﷻ ـ ذاتاً وهو المراد بتوحيد الربوبية.

أما الدلالة الأخرى التي يذكرها الشيخ ـ ~ ـ وهي دلالة التضمن فلقد ضرب لها أمثلة واقعية ، ويفهم من سياقه لهذه الأمثلة ، أن صفات الكمال وأسمائه الحسنى متضمنة في الرب جل جلاله ، فالرب لابد أن يكون له أسماء وصفات ، وهذه متضمنة في الرب كلها ، أي صفات الكمال ، فله الأسماء الحسنى والصفات العلى .

وأيضاً فإن الأقسام الثلاثة من التوحيد كما يؤكده الشيخ ـ ~ ـ في شرحه لكتاب التوحيد متلازمة ، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر ، فمن أتى بنوع منها ، ولم يأت بالآخر لم يكن موحداً .

---

(٤) شرح كتاب التوحيد باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره .للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ (تحت الطباعة).

الفصل الثَّالث

توحيد الألوهية

وفيه خمسة مباحث.

المبحث الأول: تعريف توحيد الألوهية.

المبحث الثَّاني: معنى شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنَّ محمَّداً رسول الله ﷺ.

المبحث الثَّالث: فضل لا إله إلاّ الله.

المبحث الرَّابع: شروط كلمة التّوحيد.

المبحث الخامس: العبادة وأنواعها.

الفصل الثَّالث

توحيد الألوهية وفيه وخمسة مباحث .

المبحث الأول

تعريف توحيد الألوهية ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: تعريف الألوهية لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثَّاني: عناية الشّيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ بتقرير توحيد الألوهية.

المطلب الثالث: أركان توحيد الألوهية.

المبحث الأول

تعريف توحيد الألوهية

المطلب الأول: تعريف الألوهية لغةً واصطلاحاً:

مفهوم الإله قد أخذ جانباً كبيراً من الأهمية؛ لمعرفة حقيقة توحيد الألوهية عند أهل السّنة والجماعة، فإن كثيراً ممَّن وقعوا في الشّرك لم يعرفوا حقيقة كلمة إله، ولم يفهموها كفهم السّلف الصّالح لهذه الكلمة؛ لذلك اشتبه عليهم مفهوم التّوحيد، ولذا وقع الخلط في مفهوم التّوحيد عند المخالفين، وجرَّ هذا الخلط إلى تناول الشّرك الَّذي حذر الله ﷻ البشر منه.

ففي بيان معنى الألوهية توضيح وتصحيح لمسار كثير من المسلمين الَّذين وقعوا في مفهوم خاطئ لهذه الكلمة، وقد اعتنى السّلف الصّالح لهذه الأمَّة بتوضيح هذا المفهوم، حتى اعتبروا أن من لم يسر على هذا المفهوم فليس من أهل السّنة والجماعة، وهي الفرقة النّاجية بإذن الله ـ ﷻ ـ ، فكلمة ألوهية منتزعة من إله.

ماذا يقول أهل اللغة في معنى إله؟

الإله: مصدر أَلِهَ يَأْلَهُ، فهو إله.

إله: كفعال، بمعنى مألوه، وكل ما اتخذ معبوداً فهو إله عند متخذه.

والتّأله: التّنسك والتّعبد، والتّأليه: التّعبيد، وأَلِهَ: تحيَّر، أَلَهَهُ: أجاره وأمَّنَهُ [١].

أله: الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التّعبد، فالإله: الله ـ ﷻ ـ ، وسمي بذلك لأنه معبود، ويُقال: تأله الرجل. إذا تعبد؛ قال رؤبة بن العجاج:

لله دَرُّ الغانيات المُدَّهِ سبَّحْنَ واسترجعن من تَأَلُّهِي [٢].

ومعنى الإله في لغة العرب المعبود[١]؛ لأن كلمة إله مشتقة من أله يأله إلهة وألوهة،

---

١) القاموس المحيط (ص: ١١٤٤).

٢) معجم مقاييس اللغة (١/ ١٢٧).

وألوهة، وهذا بمعنى العبادة، فالإله: هو المعبود، وقول: (لا إله إلا الله) يعني: لا معبود بحق إلا الله، ويدل على تفسير العبادة بذلك قول الله ـ ﷻ ـ: M d f g h i j k l m n o p q r s u v w x y z L[2]، هذه وصية الله ـ ﷻ ـ لجميع المرسلين ولجميع الناس، (لا تعبدوا إلا الله) مساوية لـ(لا إله إلا الله)، فصار بالمطابقة الإله هو المعبود، والألوهية: هي العبادة، (لا إله إلا الله) يعني: لا معبود إلا الله، يعني: لا تعبدوا إلا الله، والمشركون يفهمون اللغة، ويفهمون معاني الكلام في زمن النبوة، فلما قال لهم قولوا: لا إله إلا الله. ودعاهم إلى (لا إله إلا الله) علموا أن المعنى أن يَدَعُوا جميع الآلهة، وألا يتوجهوا بنوع من أفعالهم إلى شيء من تلك الآلهة، فقال الله ـ ﷻ ـ عنهم: M b c d e f g h i j k l m n o p q r s L[3]، يعنون: النبي ﷺ، وقال ـ ﷻ ـ عنهم أيضاً: M E F G H J K L M N L[4].

ويقرر الشّيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ هذا المعنى في رسائله وكتاباته، فيقول ـ رحمه الله ـ:

ومعنى الإله: هو المألوه المعبود الَّذي يستحق العبادة، وليس الإله بمعنى القادر على الاختراع، فإذا فَسَّر المفسر الإله بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد ـ كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية وغيرهم ، لم يعرفوا حقيقة التّوحيد إذا كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء ، وكانوا مع هذا مشركين[5].

---

١) انظر: القاموس المحيط (ص١٦٠٣)، ومختار الصحاح (ص٩)، ولسان العرب (١٣/ ٤٦٩).

٢) سورة هود ، (آية :١- ٢).

٣) سورة الصافات ،(آية ٣٥- ٣٦) .

٤) سورة ص ، (آية :٥).

٥) مجلة التوعية الإسلامية،رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد،السنة التاسعة،العدد الثالث،رسالة في التوحيد،سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد ـ رحمه الله ـ،الحلقة الأولى، الجمعة ١٤٠٣/١١/١٨هـ(ص٢٠).

أما عن توحيد الألوهية اصطلاحاً :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "التّوحيد : أن يعبد الله وحده لا شريك له." [١]

ويعني بذلك شيخ الإسلام توحيد الألوهية .

ويقول ابن أبي العز: "توحيد الألوهية : "هو استحقاقه ــ ﷻ ــ أن يعبد وحده لا شريك له."[٢]

ويقول الإمام محمَّد بن عبد الوهاب : "هو إفراد الله بالعبادة." [٣]

ويقول الشّيخ سليمان بن عبد الوهاب[٤] موضحاً ما قرره الإمام : "توحيد الألوهية المبني على إخلاص التّأله لله ـ ﷻ ـ ، من المحبة ، والخوف ، والرجاء ، والتّوكل."[٥]

وفي هذا المعنى يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

"فالغاية الحميدة الّتي يحصل بها كمال بني آدم ، وسعادتهم ، ونجاتهم ـ هي معرفة الله ـ ﷻ ـ ومحبته ، وعبادته وحده لا شريك له. وهي حقيقة قول العبد : لا إله إلاّ الله. وبها بعثت الرسل ، ونزلت جميع الكتب."[٦]

وقد عرفه الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ ، وكان كثيراً ما يذكر توحيد العبادة ، ويريد به توحيد الألوهية فقال :

"توحيد العبادة : الَّذي أنكره المشركون ، وهو الَّذي وقعت الخصومة فيه بين الرسل وأممهم ، هو أن نوحده بأفعالنا ، هذا هو توحيد الألوهية ، وهو الَّذي وقعت الخصومة فيه بين الأنبياء وبين الأمم ، معنى أن نوحده بأفعالنّا أي : أن أعمالنّا لا نصرف شيئاً منها إلاّ

---

١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠١/٣)، وانظر : (١١ / ٥٠).

٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص : ٢٤).

٣) كشف الشّبهات ، شرح الشّيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ (ص : ١١).

٤) هو : **سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب** الفقيه المحدث ، من أئمة الدعوة المجاهدين ، وكان آيةً في العلم ، وكان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر لا تأخذه في الله لومةُ لائم ، له مؤلفات مفيدة نافعة منها : تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ، قتل سنة ١٢٣٣هـ ـ ~ ـ . هدية العارفين(٤٠٨/١) ، وعلماء نجد خلال ستة قرون(٢٩٣/١) ، وعنوان المجد في تاريخ نجد(٢١٢/١).

٥) تيسير العزيز الحميد (ص : ٣٦).

٦) مفتاح دار السّعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٢٧/٣).

لله، كالنّذر، والذبح، والدعاء، والاستغاثة، والإنابة، والتّوكل، وطلب العون، ... إلى غير ذلك من أنواع العبادة الّتي تصدر منا، فلا يصلح صرف شيء منها، لا لملك مقرب كجبريل، ولا لنبي مرسل كمحمَّد، فضلاً عن غيرهما، والله أعلم."(١)

ويُطلق الشّيخ على توحيد الألوهية توحيد العبادة ، وفي موضع آخر يقول ـ رحمه الله ـ :

"أما توحيد العبادة الّذي هو توحيد الألوهية: أن نوحده بصلاتنا، وذبحنا، ونذرنا، واستغاثتنا، وإستعانتنا كلها لله عز وجل، هذا هو توحيد العبادة." (٢)

ويقول ـ رحمه الله ـ أيضاً:

"بقي موضوع معنى الكلمة: والرد على الصّوفية(٣) وغيرهم من الخرافيين المبتدعة. أما معناها فهي: لا إله إلاّ الله، دلت على نفي العبادة عن جميع من خلق الله، وإثباتها لله سبحانه وتعالى، فإن قولك: لا إله. أي: لا معبود في الأرض ولا في السّماء بحق إلاّ الله، فأي معبود عُبد من دون الله من قبر، أو ملك، أو نبي، فعبادته باطلة، وصرفها له هو محض الشّرك؛ لأنها من خصائص الله، وهي العبادة." (٤)

المطلب الثَّاني : عناية الشّيخ ـ رحمه الله ـ بتقرير توحيد الألوهية .

اعتنى الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ بتوحيد الألوهية عناية بالغة، وهذا ظاهر من خلال آثاره العلمية، حتى لا يكاد يخلو منها شيء من إشارة الشّيخ لتوحيد الألوهية، وهذا هو طريق السّلف الصّالح، ومن قبلهم الأنبياء، يدعون النَّاس إلى توحيد الألوهية، وكما هو معلوم الحال الّذي وصل إليه كثير من بعض الشّعوب المنتمية للإسلام من دعاء الأموات، والتّبرك غير المشروع، والسّحر، والخرافات والبدع، وغير ذلك مما

---

١) كشف الشّبهات، شرح الشّيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ (ص: ١٧).

٢) فتاوى ومحاضرات للشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ.

٣) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (ص٢٤)، و تلبيس إبليس (ص٢٣٩ ـ ٢٤١)، ومجموع الفتاوى (١١/٦، ٢٩).

٤) شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ، أول باب من كتاب التّوحيد(تحت الطباعة).

يخل بتوحيد الألوهية. فلهذه الأسباب وغيرها كان الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ شديد الحرص على تبيين الحق، وإقامة الحجة .

يقول ـ رحمه الله ـ: "لا بد أن يعرف الإنسان التّوحيد، ولا بد أن يعتقده، ولا بد أن يعمل به، ومن العمل به إنكار المنكر على من خالف التّوحيد، وإعلان بطلان عقيدته، وأن هذا شرك، من استغاثة بغير الله، ومصارحتهم بالعداوة؛ فإن هذه هي ملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ، كما قال تعالى: M U V W X Y Z [\ ] ^ _ `
a L [1]، الملة هي الدين – دين إبراهيم – وما دين إبراهيم؟ جاء مبيناً دين إبراهيم الَّذي أمر نبينا باتباعه في قوله تعالى: M s t u v w x y z { | { ~ **إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا** © **وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ** ´ L [2]، لا أن تجامل أهل البلد، وتجامل الرؤساء، أو تجامل المشايخ مثلاً، وهم على ضلال وخطأ." [3]

المطلب الثالث: أركان توحيد الألوهية.

يقرر **الشّيخ عبد الله بن حميد** ـ رحمه الله ـ ماقرره علماء الدّعوة السّلفية في القديم والحديث أنَّ كلمة التّوحيد ـ لا إله إلاّ الله ـ تشتمل على ركنين: نفيٍ وإثبات.

قال ـ رحمه الله ـ: "لأنَّ (لا إله إلاّ الله) تبطل وتنفي جميع ما يعبد من دون الله ـ عز وجل ـ، وتثبت العبادة لله وحده لا شريك له"[1]، وذكر هذه الجملة كثيراً في آثاره، وذكر أشياء تتعلق بأركان توحيد الألوهية تدل على عمق فهمه لقضية التّوحيد، فيذكر المحبة، والرجاء، والخوف :

M & ' ( ) L : (دليل المحبة)، M + , L : (دليل الرجاء)
M . / 0 L : (دليل الخوف) [2].

---

١) سورة النّحل، (آية : ١٢٣).

٢) سورة الممتحنة (آية : ٤).

٣) شرح كشف الشّبهات للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ (ص : ٢٦).

٤) المرجع السابق (ص: ٢٧).

٥) مذكرة التّوحيد رقم ٦ (ص: ٩٨).

المبحث الثَّاني

معنى شهادة أن لا إله إلاّ الله
وأن محمَّداً رسول الله ﷺ

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: معنى لا إله إلاّ الله .

المطلب الثَّاني: معنى شهادة أن محمَّداً رسول الله .

المطلب الثَّالث: أول واجب على المكلف .

المطلب الرابع: التّلازم بين الشّهادتين .

المبحث الثَّاني
معنى شهادة أن لا إله إلاّ الله
وأن محمَّداً رسول الله ﷺ

المطلب الأول: معنى لا إله إلاّ الله :

معنى شهادة أن لا إله إلاّ الله: لأن (لا إله إلاّ الله) تبطل وتنفي جميع ما يعبد من دون الله، وتثبت العبادة لله وحده لا شريك له . والتّوحيد هو: إفراد الله بالعبادة، وهو معنى كلمة الإخلاص (لا إله إلاّ الله) فإن (لا) نافية للجنس، قد نفت جنس الإله أن يكون أحد منهم يستحق التّأله بحق، أو يصرف شيء من العبادات له، ثم أثبت بقوله (إلاّ الله) العبادة لله ـ ﷻ ـ وحده لا شريك له في ألوهيته، كما أنه ليس له شريك في ربوبيته، وهذا هو معنى قول الخليل ﷺ : M V W X Y [\ ] ^ _ L[1] فاستثنى من المعبودين ربه، وتبرأ مما سواه، M**فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ** à **فَقَدِ** â **بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ** ç L[2].

وهذا المعنى في القرآن والسّنة كثير جداً، وهو حقيقة ما دعت إليه الرسلُ أُمَمَهم.

قال ﷻ: M D E F G H I J K L M N L[3]. قال بعضهم[4]: الله علم على المعبود بحق، فالله أصلها الإله ـــ على الصحيح ـــ لأنها مشتقة[5]، وخففت الهمزة في الإله فصارت الله لكثرة دعائه،ورجائه، والتوسل إليه باسمه هذا، ونحـــو ذلك.

---

١) سورة الزخرف (آية :٢٦ - ٢٧).

٢) سورة البقرة (آية :٢٥٦).

٣) سورة النحل (آية :٣٦).

٤) انظر: فتح المغيث (٨/١) ط. دار الكتب العلمية، وتفسير الجلالين (ص٢) ط. دار الحديث، وتحفة الأحوذي (٣٣٨/٩).

٥) انظر: تفسير القرطبي (٥٥/١)، وزاد المسير (٩/١)، وبدائع الفوائد (٤٧٣/٢)، وتفسير ابن كثير (٢٠/١)، وفتح المجيد (ص٩)، توزيع دار الإفتاء.

المقصود: أن كلمة (لا إله) هذه فيها العبودية، وهذا هو المتقرر في العربية وفي القرآن؛ كما قال ﷻ: M , - . 6 L[١]

يعني أمعبود مع الله؟ لأنهم إنما جعلوا معبوداً مع الله، ولم يجعلوا رباً مع الله ﷻ، ومن ذلك ما جاء في قراءة ابن عباس المشهورة[٢] في سورة الأعراف: M l m w L[٣] (يعني: وعبادتك).

وكقول رؤبة في رجزه المعروف[٤]:

لله درّ الغانيــات المُــدّهِ سبّحن واسترجعن من تألهي

سبّحن واسترجعن من تألهي، يعني: من عبادتي، فالتأله أَلِهَ، يَأْلهُ، إِلهةً، والألوهية هذا كله راجع إلى معنى التعبد والعبادة فإذاً هذه المادة مادة العبادة، وليست مادة السيادة والتصرف في الأمر. وهذا هو المعروف عند العرب، والعرب لا تَعرف منها إلا أنه عبد، حتى إن بعضهم قال: الهمزة في «أله» أصلها واو، وهي مِنْ «وَلهَ»؛ لأنه عبد متولهاً متيماً من الوله والمحبة الذي هو شدة المحبة، فلذلك دورانها لغة وشرعاً يدل على بطلان قول أهل الفرق جميعاً، ومن نحا نحوهم من المفسرين ممن فسر الألوهية بالربوبية؛ ولذلك كان من أعظم ما بَيَّنه الإمام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ في العلم أنه صحح الفهم لمعنى الإله، والفرق بين الألوهية والربوبية، وكلام السلف في هذه المسألة وكلام العلماء في أن الإله غير الرب، وأن الرب يُطلق ويراد به السيد المتصرف.

يقول الشيخ ـ رحمه الله ـ:

"شهادة أن لا إله إلاّ الله، هذه هي كلمة الإخلاص، فإن أول ما يجب على العبد

---

١) سورة النمل، (الآية: ٦٤).

٢) انظر: تفسير الطبري (٥٤/١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٥٣٨/٥)، وسنن سعيد ابن منصور (١٥١/٥)، وتفسير البغوي (١٨٩/٢).

٣) سورة الأعراف(الآية: ١٢٧)

٤) هو: رؤبة بن العجاج، انظر: تفسير الطبري (٥٤/١)، وتفسير ابن كثير (٢٠/١).

معرفته شهادة أن لا إله إلاّ الله ؛ فلأجل هذه الكلمة خلقت الخليقة، ولأجلها أرسلت الرسل، ولأجلها أنزلت الكتب، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، ولأجلها نصبت الموازين، ولأجلها قام سوق الجنة والنّار، كله لأجل شهادة أن لا إله إلاّ الله، ومعناها: هو أنك تشهد شهادة الحق، يقيناً، قطعاً، جزماً بأنه لا يعبد في الأرض ولا في السّماء بحق سواه جلَّ وعلا، وأنَّ عبادة ما سواه باطلة، وهذا هو التّوحيد الَّذي بعثت لأجله الرسل M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / L[١] هذه هي دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم، هو أن لا يعبد إلاّ الله ـ ﷻ ـ، وأنَّ عبادة ما سواه باطلة."[٢]

قال شارح العقيدة الطّحاوية: "ولا إله غيره، هذه كلمة التّوحيد الّتي دعت إليها الرسل كلهم، وإثبات التّوحيد بهذه الكلمة باعتبار النّفي والإثبات المقتضي للحصر، فإن الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال، ولهذا ـ والله أعلم ـ لما قال ﷻ: M **وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ** L[١] قال بعده: M **لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ** L فإنه قد يخطر ببال أحد خاطر شيطاني: هَب أن إلهنا واحد، فلغيرنا إله غيره، فقال ﷻ: M **لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ** L[٢].

المطلب الثَّاني: معنى شهادة أن محمَّداً رسول الله ﷺ.

يبين الشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ معنى شهادة أن محمداً رسول الله ـ ﷺ ـ فيقول: "أي أن تشهد شهادة الحق بأن محمَّداً عبد الله ورسوله ـ ﷺ ـ، عبد لا يعبد، ورسول لا يُكذَّب، شرَّفه الله ـ ﷻ ـ بالعبودية والرسالة، فلا يجوز لك أن تسأل الرسول ـ ﷺ ـ بما هو من خصائص الله ـ ﷻ ـ؛ كأن تقول: يا محمَّد، أغثني، واكشف الشّر عني. نقول لك: هذا لا يجوز، بل هذا حق لله ـ ﷻ ـ. فإن الرسول ـ ﷺ ـ، وإن كان

---

١) سورة الأنبياء (آية: ٢٥).

٢) دروس عامة تسجيل بصوت الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ من تفريغ الباحثة.

٣) سورة البّقرة (آية: ١٦٣).

٤) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٠٩).

أشرف الخلق، وأفضل الخلق والأنبياء، وأفضل من طلعت عليه الشّمس، وأفضل من مشى على الأرض، وهو سيد الأولين والآخرين، والأنبياء عليهم السّلام تحت لوائه يوم القيامة، لكن مع هذا لا يجوز لك أن تصرف شيئاً من حق الله ﷻ، بأن تطلب منه المدد، أو الغيث، أو دفع الضر، أو جلب النّفع، كل هذا من خصائص الله ـ ﷻ ـ ، ومن حقه ـ ﷻ ـ ، قال ﷻ في حق الرسول ﷺ: M d e f g h i j k .m n o p q r s t u v w x L[1]، M ! " # $ % & ' ( ) * + - . / 0 1 2 3 4 5 6 8 9 : ; < = > L[2]، ولما شج النّبي ﷺ يوم أحد، وجعل يمسح الدم من وجهه، ويقول ﷺ: « **كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ** »[3]. وكسروا رباعيته ـ أي: أسنانه ـ، وهو السّن الّذي يلي الثّنية، وهو أقواها، كسروا رباعيته، وجرحوا رأسه، وكذلك وجهه، فصار يمسح الدم عن وجهه، ويقول ﷺ: « **كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ** » استبعد فلاحهم وفوزهم، وهم على هذه الحالة، فأنزل الله ـ ﷻ ـ عليه: M w x y z { | } ~ **أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ** L[4] فقوله ـ ﷻ ـ: M w x y z { L دل على أن الأمر كله لله، لا لملك مقرب، و لا لنبي مرسل. وجاء في صحيح البخاري **عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِى صَلاَةِ الْفَجْرِ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: « اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ فِي الأَخِيرَةِ » . ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلاَنًا وَفُلاَنًا»**. وفي رواية كان يلعن صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، فأنزل الله ـ ﷻ ـ عليه M w x y z { L ثم هؤلاء الّذين كان الرسول – ﷺ – يلعنهم، وخلفه سادات المهاجرين

---

١) سورة الجنّ (آية: ٢١- ٢٢).

٢) سورة الأعراف (آية: ١٨٨).

٣) أخرجه البّخاري(١٤٩٣/٤ برقم ٣٨٤١)، ومسلم (١٤١٧/٣ برقم ١٧٩١).

٤) سورة آل عمران (آية: ١٢٨).

٥) أخرجه البخاري(١٦٦١/٤ برقم ٤٢٨٣)، ومسلم (٤٦٦/١ برقم٦٧٥).

والأنصار يؤَمِّنون على دعائه، فأنزل الله ـ ﷻ ـ عليه M w x y z { } L[٥].

ثم هؤلاء أسلموا، وحسن إسلامهم، كل هذا تعرف أنه لا ينبغي أن تتعلق إلاّ بالله ﷻ، نعم، الرسول — ﷺ — سيد الخلق، ليس لك طريق يوصل إلى الله إلاّ الطريق الَّذي أوضحه الرسول ﷺ، وبيَّنه.

وقال أيضاً ـ رحمه الله ـ:

معنى شهادة أن محمَّدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، واجتناب مانهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلاّ بما شرع." [١] .

وفي موضع آخر يقول ـ رحمه الله ـ: "ومعنى شهادة أن محمَّداً رسول الله أي: قبول ما جاء به قولاً وعملاً واعتقاداً، والتّحاكم إلى ما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ ، قال الله ﷻ: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 L[٢]

ويقول ـ رحمه الله ـ مؤكداً لهذه القضية: "ما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ يكون القلب ممتلئاً بمحبته، والميول إليه، حتى يكون أحب إليه، يعني: محباً لسنته، محباً لاتباع أمره، محباً للابتعاد عما نهى عنه، وهذا أوثق عرى الإيمان، الحب في الله، والبغض في الله، والموالاة في الله، والمعاداة في الله، مصدرها القلب، الجوارح تعمل، أو تترك، وهي الّتي تدل على ما في القلب." [٣]

---

١) فتاوى ومحاضرات الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ (ص: ١٣ — ١٤).

٢) سورة النّساء (آية: ٦٠).

٣) شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ، باب قول الله: ألم تر إلى الَّذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك(تحت الطباعة).

المطلب الثَّالث: أول واجب على المكلف:

يرى الشيخ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أن أول مايجب على العبد هو معرفة توحيد الله ـ جَلَّ ـ، حيث يقول ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ : " ومعنى شهادة التوحيد، هي معرفة شهادة أن لا إله إلاّ الله، لا كما يقوله المتكلمون: المراد الاعتقاد أن الله هو القادر على الاختراع، هذا كله باطل، وفي رواية بعْثَ النبي ـ ﷺ ـ مُعَاذَ بن جَبَلٍ ـ رضي الله عنه ـ إلى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قال له: " **إِنَّكَ تَقْدَمُ على قَوْمٍ من أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تَدْعُوهُمْ إلى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" [٤].

وهي رد على المتكلمين كما قلنا، فإنهم يقولون: أول ما يجب على العبد النّظر. لا. نقول: أول ما يجب على العبد شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأن محمَّداً رسول الله ـ ﷺ ـ، ثم لا يكفي مجرد النّطق، بل لا بد أن ينطق بها، ولا بد أن يعمل بمعناها، ولا بد أن يعرف مقتضاها."[١]

المطلب الرَّابع: التّلازم بين الشّهادتين.

يرى الشيخ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أنّ معنى الشهادتين متلازم، وأنّ معنى شهادة أن لا إله إلاّ الله، ومعنى شهادة أن محمَّداً رسول الله متلازمان؛ لهذا صار الاثنان ركناً واحداً، وهو الركن الأول من أركان الإسلام، كما قال ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ**»[٢] الحديث. لما بينهما من التّلازم، ودل ذلك على أن من لازم شهادة أن محمَّداً رسول الله ـ ﷺ ـ: الإيمان بما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ، قولاً، وعملاً، واعتقاداً [٣].

---

١) أخرجه البّخاري (٦/٢٦٨٥برقم: ٦٩٣٧).

٢) شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ، باب: الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله، تحت الطباعة.

٣) سبق تخريجه في: ١٥٦.

٤) شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ، باب قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ألم تر الّذين إلى الّذين يزعمون، تحت الطباعة.

المبحث الثَّالث

فضل لا إله إلاّ الله

أشار الشيخ ابن حميد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ إلى أنه من المعلوم أن لا إله إلاّ الله هي كلمة التّوحيد، وهي الّتي ـ كما تقدمت الإشارة إليها ـ من أجلها خلقت الخليقة، ومن أجلها أنزلت الكتب، وأرسلت الرسل، ومن أجلها جردت سيوف الجهاد، ومن أجلها حقت الحاقة، ووقعت الواقعة، ومن أجلها قام سوق الجنة والنّار، ومن أجلها نصبت الموازين، كله لأجل هذه الكلمة، وهذه الكلمة هي دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم، وموسى عليه السلام خفي عليه فضل هذه الكلمة، ولهذا لما قال: **" يا رب! علمني دعاءً أذكرك، وأدعوك به. قال: يا موسى، قل: لا إله إلاّ الله.** كأنه قال: يا رب إنما أردت شيئاً تخصني به من بين العباد؛ يريد أن يختص بدعاء دون غيره من بقية العباد؛ وذلك لأنه كليم الله، ولأنه من أولي العزم، ومن أفضل الرسل، لما خفي عليه فضل لا إله إلاّ الله، نبهه الرب سبحانه وتعالى بقوله: **يا موسى لو أن السّماوات السّبع وعامرهنّ غيري " أي: ساكنيها غيري" والأرضين السّبع في كفة، ولا إله إلاّ الله في كفة، مالتّ بهن لا إله إلاّ الله**[1] خفي على موسى فضل هذه الكلمة، وأن السّماوات بما فيها من الأفلاك والسّكان، وأن الأرضين بما فيها من جبال، وبحار، وسكان، لو جعلت في كفة الميزان، وهذه الكلمة في كفة

---

١) أخرجه أبو يعلى (٢/٥٢٨برقم ١٣٩٣)، والحاكم (١/٧١٠ برقم ١٩٣٦)، وابن حبان (١٤/١٠٢)، وأبو نعيم (٨/٣٢٨) ، والسيوطي في الدر المنثور(٣/٥٣٨)، والنسائي في الكبرى(٦/٢٠٨ برقم ١٠٦٧٠)، وضعفه العلامة الألباني في الترغيب والترهيب(١/٢٣٢) ،ويغنى عنه ما جاء في مسند أحمد بن حنبل(٢/١٦٩) ،والبخاري في الأدب المفرد(١/١٩٢): عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله –ﷺ–: ... آمرك بلا إله إلا الله فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة، رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا الله وسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شيء، وبها يرزق الخلق ...ورجاله رجال الشيخين عدا الصقعب بن زهير، وقد وثقه أبو زرعة. وقال الحافظ : ثقة. فالحديث صحيح، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة(١٣٤)، والعلامة الوادعي في الصحيح المسند . وجاء عند عبد بن حميد في مسنده (١/٣٤٨) عن جابر بن عبد الله بإسناد ضعيف.

أخرى، لرجحت هذه الكلمة بجميع هذه المخلوقات، فهذا يدل على فضل هذه الكلمة العظيمة، وفي هذا فوائد:

أولاً: أن هذه الكلمة خفي فضلها، وعظم شأنها ـ حتى على أفاضل الأنبياء كموسى عليه السلام، حتى نبهه الرب سبحانه وتعالى بعظمها كما دل عليه هذا الحديث.

ثانياً: فيه دليل على أن هذه الكلمة هي من أفضل الدعاء وأعظمه، ولهذا قال النّبي ﷺ: {**أفضل ما قلت أنا والنّبيون من قبلي: لا إله إلاّ الله**}(١)، فلاحظ قوله: **أفضل ما قلت أنا والنّبيون من قبلي**، دل على أنَّ أفضل كلمة، وأفضل دعاء جاءت به الرسل من أولهم إلى آخرهم هي هذه الكلمة، لا إله إلاّ الله، بدليل قوله: (**أفضل ما قلت أنا والنّبيون من قبلي لا إله إلاّ الله**)، وقال في الحديث الآخر: {**خير الدعاء دعاء عرفة، لا إله إلاّ الله**}(٢)، فكل هذا يدل على عظم هذه الكلمة، وأنها من أفضل ما جاءت به الرسل، بل هي دعاء الرسل(٣).

ومن فضائل لا إله إلاّ الله :-

الفائدة الأولى: الفرح بفضل الله ـ عز وجل ـ، وفضل الله ـ عز وجل ـ أنْ عرَّفك بالإسلام، وجعلك من أهله، فهذا معنى قوله سبحانه وتعالى: M a b c d e f g h i j L(٤)، فمعنى هذه الآية: M a b c d L، فضل الله: الإسلام، ورحمته: أن جعلك من أهل الإسلام، وينبغي أن تفرح بهذا، و أن يسرك هذا السّرور

---

١) أخرجه الطبراني (١/٢٧٣ برقم ٨٧٣).

٢) أخرجه الترمذي (٥/٥٧٢ برقم ٣٥٨٥) بلفظ: **خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَخَيْرُ ما قلت أنا وَالنَّبِيُّونَ من قَبْلِي لَا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ له، له الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وهو على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ**. قال: هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ من هذا الْوَجْهِ وَحَمَّادُ بن أبي حُمَيْدٍ هو محمد بن أبي حُمَيْدٍ وهو أبو إبراهيم الأَنْصَارِيُّ الْمَدِينِيُّ وَلَيْسَ بِالْقَوِيِّ عِنْدَ أَهْلِ الحديث.

٣) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ، أول باب في كتاب التّوحيد، تحت الطباعة.

٤) سورة يونس (آية: ٥٨).

العظيم، هذه هي الفائدة الأولى: أن عرفك بالإسلام، وعرفك ما ينافي الإسلام، وأن جعلك من أهله؛ رحمةً منه، وإحساناً منه إليك، هذه هي الفائدة الأولى.

الفائدة الثَّانية: وهي أنك تخاف الخوف الشّديد بأن تنسلخ من هذا الإسلام، وأن تعرض لك شبهة تخرجك من هذا الإسلام الَّذي قال الله ـ ﷻ ـ فيه: M a b c d e f g h i j L[1]، فأعظم نعمة أنعم الله بها على عباده هي نعمة الإسلام، أن عرفهم بالإسلام، وجعلهم من أهل الإسلام، ولكنه يخاف أن ينزع منه هذا الإسلام، أو هو ينزع الإسلام، فيبقى مع القسم الثَّاني الَّذين لا خير فيهم، والذين هم أعداء الرسل، وأعداء دين الإسلام، كما تقدمت الإشارة إليه[2].

ويقول الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ أيضاً في فضل لا إله إلاّ الله :

"البشارة لأهل التّوحيد؛ لأن الله ـ ﷻ ـ يدخلهم الجنة بسبب توحيدهم، وإن كان عندهم شيء من الذنوب والمعاصي الّتي هي دون الشّرك؛ لأن الله ـ ﷻ ـ يغفر لمن يشاء، ويعذب في النّار بقدر ذنوبهم، ثم يكون مآلهم إلى الجنة، وذلك بسبب التّوحيد؛ لأنه جاء في الحديث: (**إنه يخرج من النّار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**)[3]. خرجوا من النّار بسبب التّوحيد، لا يخلدون فيها، كما يخلد هذا بفضل التّوحيد، التّوحيد سبب للنجاة من النّار، والخروج منها يوم القيامة، وهذا بشارة للموحدين." [4]

ويقول ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في موضع آخر:

---

١) سورة يونس (آية :٥٨).

٢) شرح كشف الشّبهات، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ (ص: ٣٥).

٣) أخرجه البخاري (١٦/١ برقم٢٢)، ومسلم (١٨٤) من حديث أبي سعيد ﷺ بلفظ: « **يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ . فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَا - أَوِ الْحَيَاةِ ، شَكَّ مَالِكٌ - فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً** »

٤) شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ ، باب: فضل التّوحيد وما يكفر الذنوب، تحت الطباعة.

"وهذا يبين عظمة التّوحيد، وأن من مات على التّوحيد ـ كما تقدم ـ ولو كان له من الذنوب والخطايا والجرائم ملء الأرض، أو ما يقارب ملأها، وقد لقي الله ـ ﷻ ـ بالتّوحيد سالماً من الشّرك قليله وكثيره، حريٌّ بأن يغفر الله ـ ﷻ ـ له، ويقابله بملء الأرض مغفرة، وقد يعذبه الله بقدر جرائمه وذنوبه، ثم مآله إلى الجنة، كل هذا يدل على فضل التّوحيد"[١].

ويقول ـ رحمه الله ـ في موضع آخر:

"وقد علم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ، واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام وأول ما يؤمر به الخلق: شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله ــ كما أمر النبيﷺ بذلك (معاذاً) حين بعثه إلى اليمن[٢].

---

١) نفس المرجع: باب: تفسير التّوحيد وشهادة أن لا إله إلاّ الله.

٢) مجلة البحوث الإسلامية، المجلد الأول، العدد الأول، الدعوة إلى الله، الشيخ عبد الله بن حميد ــ رحمه الله ــ (ص٤٠٦).

المبحث الرَّابع

شروط كلمة التوحيد

بالتّتبع والاستقراء استنتج علماء الدّعوة السّلفية شروطاً لكلمة التّوحيد، وهذه الشّروط ليست بدعاً، أو اتباعاً للهوى، بل لها دلائل تدل على صدق ما ذهب إليه السّلف الصّالح؛ إذ لا يمكن أن يتقولوا على الله ما لم يقله الله ﷻ، والشّروط الّتي يذكرونها كشروط الصّلاة، و الحج، وغير ذلك من العبادات، فكذا التّوحيد جعلوا له شروطاً لا بد أن تتحقق في كل مسلم، ولكل شرط دليل، وهذا من تقريب العلم وتسهيله للمسلمين، وذلك فضل الله ـ ﷻ ـ يؤتيه من يشاء، ولله الحمد. وقد ذكرت هذه الشّروط في مواضع كثيرة عند الكلام على التّوحيد في شروح كتاب التّوحيد، وذكرها أئمة الدّعوة في رسائلهم وموضوعاتهم الّتي جُمعت في الدرر السّنية، ويذكرها المتأخرون، ونظمها بعضهم نظماً؛ ففي التّنبيهات السّنية قال: "وشروطها سبعة: العلم، واليقين، والإخلاص، والصدق، والمحبة، والانقياد، والقبول، وقد نظمها بعضهم بقوله:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع ... محبة وانقياد والقبول لها
وزيد ثامنها الكفران منك بما ... غير الإله من الأوثان قد ألها [1].

ويشير الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ إلى بعضٍ من هذه الشّروط في مواضع متعددة، فمنها:

١- المحبة: " قال ـ رحمه الله ـ : "المحبة الحقيقية المستلزمة للائتمار بأوامر المحب مع إخلاص العبادة له، هذه هي المحبة: تأتمر بأوامر الله مخلصاً في ذلك العبادة له، هذا نعم تحبه، أما أنك تقول: أنا أحبك ـ باللسان ـ، وتصرف ما هو له لغيره، تقول: أنا أحبه. نقول: لا، هذا النّد الَّذي جعلته نديداً لله. أما محبة الإنسان للطعام، أو لأهله، أو لماله، أو لأولاده، هذه محبة طبيعية لا يلام أحد عليها، ولا يقال: لا يجوز لك أن تحبهم. بل أفرد المحبة لله ـ

١) التّنبيهات السّنية على العقيدة الواسطية. للشيخ عبد العزيز الرّشيد (ص: ١٢).

ﷻ ــ. نقول: نعم، أفرد المحبة لله، والمحبة المقتضية إخلاص العبادة له، هذه هي المحبة الحقيقية، هذا معناه[١].

٢- القبول :

قبول ما جاء به الرسول ﷺ قولاً، وعملاً، واعتقاداً، وتحاكماً إلى ما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ.

يقول الشيخ ـ رحمه الله ـ في موضع آخر:

"فالتّحاكم إلى كتاب الله ــ ﷻ ــ وسنة رسوله ﷺ عند موارد النّزاع، مع الإذعان، والقبول، والانصياع، وسلامة الصّدر، وانشراح القلب لحكم الله ــ ﷻ ــ والرسول ﷺ، يزيدك خيراً إلى خير، ويزيدك تثبيتاً على هذا الخير"[٢].

الكفر بالطاغوت :

يقول الشيخ ـ رحمه الله ـ حول معنى الكفر بالطاغوت :"المعنى من قال: لا إله إلاّ الله، وكفر بما يعبد من دون الله، لاحظ أن مجرد التّلفظ لا يكفي، فلو قال: لا إله إلاّ الله. ما يكفيك هذا، لا بد أن تقول: كفرت بجميع ما يعبد من دون الله؛ مثل قوله ﷻ: Mفَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ à فَقَدِ â بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ ç é ê ë L[٣]، يعني أن من لوازم الإيمان بالله ـ ﷻ ـ لا بد أن يكون كافراً بالطاغوت ـ وهذا معنى لا إله إلاّ الله ـ، وكفر بما يعبد من دون الله، فلم يجعل التّلفظ بها عاصماً للدم والمال." [٤]

٣- الإخلاص : يقول الشيخ ـ رحمه الله ـ في بيان حقيقة الاخلاص : "تجريد الإخلاص

---

١) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ باب: تفسير التّوحيد وشهادة أن لا إله إلاّ الله، تحت الطباعة.

٢) المرجع السابق ، باب قوله ﷻ: M ! " # $ % & ') ( ) * L (سورة النساء الآية: ٦٠)ألم تر إلى الّذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك ..

٣) سورة البقرة (آية :٢٥٦).

٤) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ ، باب تفسير التّوحيد وشهادة أن لا إله إلاّ الله.

له ـ ﷻ ـ بألا تقصد مدح النَّاس وثناءهم ، أو تقصد عرضاً من الدنيا، وهو مقتضى شهادة أن لا إله إلاّ الله." [٥]

٤- **العلم: يقول الشيخ** ـ رحمه الله ـ حول اشتراط العلم بمعنى كلمة التوحيد: **"**ثم مجرد قول لا إله إلاّ الله لا تنفع قائلها إذا تخلف العمل بمقتضاها، لابد أن تعرف معناها، وتعمل بمقتضاها [١].

٥- **الانقياد:**

من المعلوم أن الانقياد شرط من شروط كلمة التّوحيد، فمن لم ينقد فهو كافر؛ كما جاء في حديث صفوان الَّذي رواه النّسائي والتّرمذي عن طريق شعبة بن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن صفوان بن عسّال قال: قال يهودي لصاحبه اذهب بنا إلى النّبي ... وفيه".. فقبلوا يديه ورجليه وقالوا: نشهد أنك نبي، قال : فَقَبَّلُوا يَدَهُ وَرِجْلَهُ، فَقَالاَ: نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ. قَالَ: «فَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَتَّبِعُونِي». قَالُوا: إِنَّ دَاوُدَ دَعَا رَبَّهُ أَنْ لاَ يَزَالَ فِى ذُرِّيَّتِهِ نَبِيٌّ، وَإِنَّا نَخَافُ إِنْ تَبِعْنَاكَ أَنْ تَقْتُلَنَا الْيَهُودُ ." [٢]. فهؤلاء لم يكونوا مسلمين بذلك؛ لأنهم قالوا ذلك على سبيل الإخبار عما في أنفسهم، أي: نعلم ونجزم أنك رسول الله ...، فعلم أن مجرد العلم والإخبار عنه ليس بإيمان، حتى يتكلم بالإيمان على وجه الإنشاء المتضمن للالتّزام والانقياد، مع تضمن ذلك الإخبار عما في أنفسهم؛ فالمنافقون قالوا مخبرين كاذبين، فكانوا كفاراً في الباطن، وهؤلاء قالوها غير ملتزمين ولا منقادين، فكانوا كفاراً في الظاهر والباطن، وكذلك أبو طالب قد استفاض عنه أنه يعلم بنبوة محمَّد، وأنشد عنه:

ولقد علمت بأن دين محمَّد   من خير أديان البرية ديناً

---

١) شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ ، باب: ما جاء في الرّياء.

٢) شرح كشف الشّبهات للشيخ عبد الله بن حميد ـ ~ ـ ، (ص: ٣٠).

٣) أخرجه التّرمذي في سننه ، (٥/٧٧ برقم ٢٧٣٣)، قال التّرمذي : هذا حديث حسن صحيح،

لكن امتنع من الإقرار بالتّوحيد والنّبوة ؛ حباً لدين سلفه، وكراهة أن يعيره قومه، فلما لم يقترن بعلمه الباطن الحب والانقياد الَّذي يمنع ما يضاد ذلك من حب الباطل، وكراهة الحق، لم يكن مؤمناً، وهذا كما يقع أيضاً في كثير من الأحيان من بعض المستشرقين الَّذي يكتبون البحوث والدراسات في صحة هذا الدين، أو بعض المشتغلين بالعلوم الكونية عندما يرون إعجاز القرآن الكريم، فينطق بعضهم بهذه الكلمة مع بقائه على دين قومه، فهؤلاء لا يوصفون بأنهم مسلمون ؛ لأنهم لم ينقادوا لهذا الدين ويستسلموا، فلم تنفعهم بحوثهم إلاّ زيادة في الحسرة ، وعذاباً في الآخرة، نعوذ بالله من ذلك [١].

١) شرح كشف الشّبهات للشيخ : عبد الله بن حميد ـ ~ ـ (ص: ٨٥- ٨٦).

المبحث الخامس

العبادة وأنواعها، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: تعريف العبادة لغةً واصطلاحاً .

المطلب الثَّاني: ركنا العبادة .

المطلب الثَّالث: النية في العبادة .

المطلب الرَّابع: أنواع العبادات الَّتي ذكرها الشّيخ ـ رحمه الله ـ .

المطلب الأول: تعريف العبادة لغةً واصطلاحاً :

من المعلوم من الدين بالضرورة أن الدين الإسلامي، عقيدة وشريعة، معاملات وعبادات، وتلك هي من الأمور المسلم بها شرعاً، وهي قوام الدين وتمامه، قال ـ ﷻ ـ: Mذَٰلِكَ © ٱلْقَيِّمُ L [1].

والعبادات المشروعة في الإسلام لها أزمنة وأمكنة معلومة، ومحدودة، ولها كيفيات وهيآت وصفات ليس في وسع المرء أيا كان أن يزيد عليها، أو ينقص منها، وإلا عُدّ من المبتدعين في الدين ما ليس فيه .

وقبل الشروع في المقصود فلابد من الوقوف على تعريف العبادة لغةً واصطلاحاً :

أولاً في اللغة :

بكسر العين، وفتح الدال مصدر "عبد": الطاعة والخضوع لله ـ ﷻ ـ على جهة التعظيم، والجمع عبادات[2] .

قال الرازي: "وأصل العبودية، الخضوع والذل، والتعبيد التذليل، يقال: طريق معبد، والتعبيد أيضاً: الاستعباد، وهو اتخاذ الشخص عبداً، وكذا الاعتباد ...، وكذا الأعباد، والتعبد أيضاً؛ يقال تعبد: أي اتخذه عبداً [3]. ويقال: "وتعبد فلان، تنسّك "[4].

وقال ابن منظور: ومعنى العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق معبد، إذا كان مذللاً[5].

وقال الزمخشري: وطريق وبعير معبد، مذلل: ويقول: لا تجعلني كالبعير المعبّد، والأسير المتعبد [6]. أي بمعنى الخضوع والذلة .

---

١) سورة التوبة (آية: ٣٦)، ويوسف، (آية : ٤٠)، والروم، (آية : ٣٠).

٢) انظر: معجم لغة الفقهاء (ص٢٧٢) .

٣) مختار الصحاح (ص٤٠٨) .

٤) أساس البلاغة (ص٢٨٨)، ومختار الصحاح (ص٤٠٨) .

٥) انظر: لسان العرب (١٢/٩) .

٦) أساس البلاغة (١٢/٩) .

والعبادة في اللغة: الطاعة والخضوع، ومنه طريق معبد، إذا كان مذللاً للوطء. والمعَّبد: المذلَّل، والتعبُّد: التّذلل، والتعبيد: التّذليل، وبعير معبد: مذلل، وطريق معّبد: مسلوك مذلل، وقيل: هو الَّذي تكثر فيه المختلفة. والمعبد: الطريق الموطوء[١].

عبدت الله: أعبده عبادة، وهي: الانقياد والخضوع، والفاعل: عابد [٢].

نعبد: معناه: نطيع، والعبادة: الطاعة والتذلل، وطريق معبد؛ إذا كان مذللاً للسالكين [٣].

قال عكرمة: جميع ما ذكر في القرآن من العبادة فالمراد به: التّوحيد [٤].

والعبادة في اللغة[٥]: خضوع وتذلل معه حب عن طواعية، ورغب، ورهب، وحسن ظن، وما أشبه ذلك من أعمال القلوب، وأصلها الذل؛ ذلل الشيء يعني: جعله متطامنا ذليلا، أو جعله غير وعر غير مستكبر، فيكون هذا في الناس، ويكون في الطريق ومنه سمي العبد الرقيق عبداً؛ لأنه جعل ذليلاً غير متكبر متطامن لسيده، وقيل أيضا للطريق: معبد؛ لأنه ذُلل للسير؛ كما قال طرفة[٦]:

تُبارِي عِتاقاً ناجياتٍ وأَتْبَعَتْ ... وَظيفًا وَظيفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ

وقوله أيضا في البعير[٧]:

إلى أنْ تحامَتْني العَشيرةُ كُلُّها ... وأُفرِدْتُ إِفْرادَ البَعيرِ الُمَعَبَّـدِ

ثانياً: في الاصطلاح:

- العبادة هي " طاعة الله ـ ﷻ ـ المقرونة بالنية "[١].

---

١) لسان العرب (١٠/١٠).

٢) المصباح المنير (ص: ٢٣٢).

٣) الجامع لأحكام القرآن (١/١٩٠).

٤) الكليات (ص: ٥٩٧).

٥) انظر: تفسير الطبري (١/ ٦٩) ط. دار الفكر، ومختار الصحاح (ص١٧٢) ط. مكتبة لبنان.

٦) هو: طرفة بن العبد، شاعر جاهلي مشهور، انظر: تفسير الطبري (١/٦٩)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٢/٢٢) ط. دار الفكر، وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (ص١٢٦) ط. دار الأرقم.

٧) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٨/٢٨٧)، وجمهرة أشعار العرب (ص١٣٠)، وشرح المعلقات العشر لأحمد الأمين الشنقيطي (ص٥٢) ط. المكتبة العصرية.

- وعرّفها الجرجاني[٢] بقوله: "فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه"[٣].
- وقال الكاشاني[٤]: هي " غاية التذلل لله، وهي للعامة "[٥].

ولشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ تعريف للعبادة حسن اللفظ والمعنى من أشمل التعاريف وأدقها وأصحّها .

يقول ـ رحمه الله ـ هي: " اسم جامع لكل ما يحبه الله ـ عز وجل ـ ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار، واليتيم، والمسكين، وابن السبيل، والمملوك من الآدميين، والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة "[٦].

فهي بهذا التعريف تشمل كل قول وفعل جاء في كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة نبيه ـ ﷺ ـ ، مأمور به العبد على سبيل الوجوب، أو الندب، أو الأمر، أو الترك .

---

١) معجم لغة الفقهاء (ص٢٧٢) .

٢) هو : أبو الحسين، علي بن محمد بن علي **الجرجاني** الحسيني الحنفي، فيلسوف من كبار علماء اللغة، ولد في باكو سنة ٧٤٠هـ، وتوفي سنة ٨١٦هـ، صنف نحو خمسين مصنفاً ، منها التعريفات، وشرح مواقف الايجي، ورسالة في فن أصول الحديث، وغير ذلك. انظر : الأعلام للزركلي(٧/٥).

٣) التعريفات (ص١٨٩). ويقصد بالعامة هم أهل السنة والجماعة، ويقابلهم الخاصة وهم الصوفية، وفي ذلك تزكية لهم، وقد نهانا الله عن ذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ (سورة النجم، آية : ٣٢).

٤) أحمد بن سليمان بن نصر بن حاتم بن علي بن الحسن **الكاشاني**، كان قاضي القضاة زمن الخاقان أبى شجاع الخضر بن إبراهيم أخي شمس الملك، حدث بسمرقند وأملى، ولم يكن محمود السيرة في ولايته، روى عنه أبو المعالي نصر بن منصور المديني، ذكره السمعاني الخطيب بسمرقند. انظر :طبقات الحنفية(٦٨/١).

٥) معجم اصطلاحات الصوفية، (ص١٢٥).

٦) مجموع الفتاوى (١٤٩/١٠).

وللعبادة في الشرع عدة تعريفات[1] نختار منها في هذا المقام ثلاثة: **الأول:** أن العبادة هي: ما طُلب فعله في الشرع، ورُتب الثواب على ذلك. وهذا ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية لما تكلم عن الوضوء، فإذا كان الشيء طلب فعله في الشرع ولم يكن مطلوبا قبل ذلك، ورُتب على ذلك الفعل الثواب فهذا الفعل عبادة.

التعريف الثاني: تعريف كلي ذكره شيخ الإسلام في أول رسالة (العبودية)، وهو أن العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال، الظاهرة والباطنة[2].

التعريف الثالث: قال طائفة من العلماء، ومنهم الأصوليون بأن العبادة هي: ما أمر به من غير اطراد عرفي، ولا اقتضاء عقلي[3].

فنخلص من هذا إلى أن العبادة شيء جاء به الشرع لم يكن قبل ذلك، وليس المعنى أنه لم يكن قبل ذلك من جهة الفعل والحصول، لكن من جهة كونه مأموراً به، فقد أمر الشرع بأشياء كانت موجودة عند العرب، ولكن كانوا يفعلونها من غير أمر شرعي خاص بذلك، وإنما ورثوها هكذا، فلما أمر بها الشرع، ورتب عليها الثواب، كانت مما يحبه الله ويرضاه، وكانت مما أُمر بها من غير اقتضاء عقلي لها، ولا اطّراد عرفي بها، وإنما كانت باطّراد أمر الشارع بها، فخرجت عن كونها عرفاً فقط.

لهذا فإن الأقوال الثلاثة في تعريف العبادة تلتقي ولا تختلف، فإفراد الله سبحانه بالعبادة معناه: أن يفرد الله سبحانه بكل ما أمر به الشرع من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فيدخل في ذلك أعمال القلوب مثل: الإخلاص، والرغبة، والرهبة، والخوف، والتوكل، والإنابة، والمحبة، والرجاء، واستعاذة القلب ... إلى آخره، ويدخل فيه أيضا الأفعال الظاهرة مثل: الدعاء، وأنواعه، الاستعانة، والاستغاثة، والاستسقاء ...

---

١) انظر: المسودة لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٣٨) ط. المدني، والتعريفات للجرجاني (١٨٩) ط. دار الكتاب العربي، والتعاريف للمناوي (ص٤٩٨) ط. دار الفكر.

٢) انظر: الفروع (١/١١١) ط. دار الكتب العلمية، والمبدع (١/١١٧) ط. المكتب الإسلامي، والدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/٣١٢، ٢٨٩).

٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩).

إلى غير ذلك، ويدخل فيها الذبح، والنذر، والصلاة، والزكاة، والدعاء، والحج، والعمرة، وصلة الرحم، وغير ذلك، فالعبادة اسم يعم هذا جميعاً، فكما أنه لا يصلي المصلي إلا لله، كذلك لا يستغيث إلا بالله فيما لا يقدر عليه المخلوق، وهكذا في مظاهرها.

ومن عبد غير الله بأي نوع من أنواع العبادة فهو لم يوحد الله، بل هو مشرك ومكذب بجميع المرسلين، قال ﷻ: Mكَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾L (١)، فمن لم يوحد الله - جل وعلا - فقد كذب بالمرسلين جميعاً؛ لأن الرسل جميعاً أمروا بالتوحيد، فإذا أشرك المشرك فلا يحتج ويقول: أنا على دين موسى، أو على دين عيسى. نقول: هو مكذب بجميع الرسل، وخارج عن دين جميع الرسل.

والخلاصة: أن أصل العبادة هو تجريد الإخلاص لله - ﷻ - وحده، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ.

قال سبحانه وتعالى: M G H I J K L M N L(٢).

وقال سبحانه وتعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / L(٣).

وقد عرَّفها الشّيخ ابن حميد - رحمه الله - بقوله: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأفعال، الظاهرة، والباطنة.

وقال - رحمه الله -: إن العبادة ما أمر الله به على ألسنةِ رسله.

وقال - رحمه الله -: ما أمر به شرعاً، من غير مراد عرفي، ولا اقتضاء عقلي (٤).

والتعريف الأول لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (٥).

---

١) سورة الشعراء (آية: ١٠٥).

٢) سورة الجن (آية: ١٨).

٣) سورة الأنبياء (آية: ٢٥).

٤) فتاوى ورسائل للشيخ - رحمه الله - (تحت الطبع) (ص: ٧٧)، وشرح كشف الشّبهات للشيخ عبد الله بن حميد - رحمه الله - (ص: ٥٣).

٥) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (١٠/١٤٩).

وكثيراً ما يذكر أئمة الدّعوة أن العبادة هي : توحيد الألوهية الَّذي قامت بسببه الخصومات والحروب بين الأنبياء وأقوامهم.

ففي قرة عيون الموحدين : "يخبر ـ ﷻ ـ أنه بعث في كل قرن وطائفة من الأمم رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله ـ ﷻ ـ وحده ، وينهاهم عن عبادة ما زينه الشّيطان لهم ، وأوقعهم في عبادة ما سواه ...، وهذا التوحيد الَّذي خلقوا له ، ودعوا إليه ، هو توحيد الألوهية ، توحيد القصد والطلب." [١]

قال ﷻ: M D E F G H I J K L M N b L [٢]

و قال ﷻ: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 L [٣]

وقال ﷻ: M وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ´ µ ¶ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ L [٤]

وقال ﷻ: M وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ © قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ ﴿٧٣﴾ L [٥]

وقال ﷻ: M B C D E G H I J K L M N k L [٦]

ينقل الشّيخ ـ رحمه الله ـ تعريف القرطبي :

"العبادة طاعة الله بمقتضى ما أمر به"، والحنابلة ـ مثل ما تقدم لنا في الروض ـ [٧] قالوا : "العبادة ما أمر به شرعاً ، من غير اطراد عرفي ، ولا اقتضاء عقلي ، أما العبادة الأولى فهى ظاهرة ، وهو أنك تمتثل أمر الله ـ ﷻ ـ ، وما أمر به على ألسنة الرسل من القرآن والسنة."[٨]

---

١) قرة عيون الموحدين ، للشيخ عبد الرّحمن بن حسن آل الشّيخ ـ رحمه الله ـ (ص : ٤).
٢) سورة النحل ، الآية : ٣٦.
٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٥.
٤) سورة الأعراف ، الآية : ٦٥.
٥) سورة الأعراف ، الآية : ٧٣.
٦) سورة الأعراف ، الآية : ٨٥.
٧) الرّوض المربع شرح زاد المستقنع ، وهو من أشهر كتب الحنابلة في الفقه.
٨) شرح كتاب التّوحيد ، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ ، تحت الطباعة.

المطلب الثَّاني: ركنا العبادة.

من المعلوم أن العبادة لا تصح إلا بتوافر ركنين، وهما: الاخلاص لله ﷻ في العبادة، واتباع هدي النبي ـ ﷺ ـ فيها، **ويقرر الشَّيخ ابن حميد** ـ رحمه الله ـ ذلك فيقول:

"العبادة تُبنى على أصلين، فإذا تخلف أحدهما، فعملك مردود عليك، ولا يقبله الله ـ ﷻ ـ:

أولاً: تجريد الإخلاص لله ـ ﷻ ـ، بأن لا تقصد مدح النَّاس، ولا ثناءهم، أو تقصد عرضاً من الدنيا، وهو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وهو معنى قوله ـ ﷺ ـ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»[1]. هذا الأصل الَّذي هو تجريد الإخلاص لله ـ ﷻ ـ، وهو المقصود بهذه التّرجمة.

ثانياً: تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ، وهو معنى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ، فلو كان عملك خالصاً لله ـ ﷻ ـ، ولم تشُبْه أية شائبة، ولكنه لم يكن على سنة رسول الله ﷺ، فإن عملك هذا مردود عليك."[2]، وهذا قول أئمة السّلف.

وفي موضع آخر يقول الشّيخ ـ رحمه الله ـ:

العبادة لا تصح إلا بشرطين: الإخلاص، والمتابعة للرسول ﷺ، وهذا هو معنى الشّهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، ومعناها الإخلاص له ﷻ. وشهادة أن محمداً رسول الله، ومعناها المتابعة للرسول ﷺ، فلو أن الإنسان جاء بعبادات محدثة، ما فيها شرك أبداً، خالصة لله ـ ﷻ ـ، ولكنها ليست من شريعة النبي ﷺ، فهي مردودة لا تُقبل[3].

---

١) سبق تخريجه، ص: ١٢٦.

٢) شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ، باب ما جاء في الرّياء، تحت الطباعة.

٣) المرجع السابق، أول باب في كتاب التّوحيد.

المطلب الثَّالث: النية في العبادات:

النية لغة: القصد.[1]

والمراد بها: عزم القلب على فعل تلك العبادة.

وجميع العبادات لا يقبلها الله ـ ﷻ ـ إلا بالنية، وهو أنك فعلت تلك العبادة قصداً لوجه الله ـ ﷻ ـ لإرادة التّعبد، فهذا الَّذي تثاب عليه.

وقد قسم الشّيخ ـ رحمه الله ـ النية إلى مراتب:

المرتبة الأولى: أن تعمل العبادة لله ـ ﷻ ـ على وجه التّعبد وإرادة التّحقيق للائتمار بأمره، تفعل تلك العبادة لله ـ ﷻ ـ تعبداً، قاصداً بها وجه الله ـ ﷻ ـ، هذا أعلاها.

المرتبة الثَّانية: تقصد بعملك الأجر والثواب، تريد المقابل.

المرتبة الثَّالثة: تقصد بعملك تحصيل دنيا، أو السّلامة من الآفات الدنيوية؛ مقابله جزاء دنيوي[2].

المطلب الرَّابع: أنواع العبادات الَّتي ذكرها الشّيخ ـ رحمه الله ـ:

الشريعة الإسلامية المباركة تنوعت في العبادات؛ لعلم الله ﷻ أن الخلق تتفاوت نفوسهم في محبة أنواع العبادات، فمنهم كثير الصّيام، ومنهم كثير الصّلاة، ومنهم كثير الذكر، ومنهم كثير النفقة، ومن حكمته لم يجعل العبادة نوعاً واحداً، بل كلما قصد المسلم بعمله التّقرب لله ﷻ، كان له أجر على ذاك القصد، وهذه عبادة، وفي ميدان الدّعوة إلى التّوحيد الَّذي تتعلق به العبادة، يذكر السّلف وأتباعهم ـ رحمهم الله ـ أنواعاً من العبادات الّتي هي محض حق الله ﷻ الَّذي يجب على المسلمين أن لا يصرفوه إلا لله ـ ﷻ ـ.

---

١) (نوي) نَوى الشيءَ نِيَّةً ونِيَةً بالتخفيف عن اللحياني وحده، وهو نادر إِلاَّ أَن يكون على الحذف، وانْتَواه كلاهما: قصده، واعتقده. لسان العرب (١٥/٣٤٧).

٢) شريط الدعاء عند قبر الرّسول ﷺ، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ من تفريغ الباحثة.

ذكر الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ الكثير من العبادات ، وسأكتفي بما تيسر الوقوف عليه ، وأهم ما ذكر الشّيخ من عبادات وجدته في هذه الأنواع : إما قلبية ، أو بدنية ، أو قولية ، أو مالية ، أو يجمع بين بعضها البعض ، كالقلبية والبدنية ، أو المالية والقلبية ، وغير ذلك .

يقول الشّيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ :

"وأنواع العبادة الّتي أمر بها مثل : الإسلام ، والإيمان ، والإحسان ، ومنه الدعاء ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والرغبة ، والرهبة ، والخشوع ، والخشية ، والإنابة ، والاستعانة ، والاستعاذة ، والاستغاثة ، والذبح ، والنذر ، وغير ذلك من أنواع العبادات الّتي أمر الله ـ جلاله ـ بها." [1]

من أنواع العبادات الّتي ذكرها الشّيخ جملة ، قوله ـ رحمه الله ـ :

"فمن دعا أحداً غير الله ـ جلاله ـ من الرسل ، أو الأنبياء ، أو الأولياء ، أو الصّالحين ، أو غيرهم من سائر المخلوقات ، فقد أشرك بالله ، ودخل في وعيد الله ـ جلاله ـ بقوله تعالى : M**لَئِنْ أَشْرَكْتَ** © **لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** L [2]، وقال تعالى: M - . / 0 1 L [3]، الآية ، فقد سمى الدعاء عبادة ، بل هو مخ العبادة كما في الحديث الصّحيح [4]، ونهى ـ سبحانه ـ أن يدعي أحد كائناً من كان ، قال تعالى: M G H I J K L M N L [5]

.

١) المجموعة العلمية السّعودية ، تحقيق الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ رسالة الأصول الثلاثة (ص : ١٥٢).

٢) سورة الزُّمر (آية : ٦٥).

(٣) سورة غافر ، (آية : ٦٠).

(٤) أخرجه التّرمذي في سننه (٣٣٧١/١) ، وهو ضعيف بلفظ (مخ العبادة) ، وأخرجه صحيحاً بلفظ (الدعاء هو العبادة) ، وأخرجه غيره . وصححه الألباني ـ رحمه الله ـ في صحيح الجامع الصغير(٣٤٠٧).

(٥) سورة الجنّ (آية :١٨).

❖كذلك النذر لا يجوز أن ينذر لغير الله، ومن نذر لغير الله، حرم الله عليه الوفاء به، وإنما الَّذي يجب الوفاء به هو إذا كان لله ـ ﷻ ـ ؛كما قال ﷻ: M (* + , - . / L[1].

❖ كذلك من ذبح لغير الله فقد أشرك في عبادة الله ـ ﷻ ـ غيره، قال ﷻ: M **قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي** © **رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ** L[2]، وقد فسر العلماء النسك بالذبح.

❖هذا هو الَّذي من أجله قاتل النبي ﷺ مشركي العرب؛ بحيث لا يذبحون إلا لله ـ ﷻ ـ، ولا يدعون إلا الله ـ ﷻ ـ، لا يستغيثون إلا بالله ـ ﷻ ـ، لا يطلبون المدد إلا من الله ـ ﷻ ـ، وأن يقطعوا العلائق من جميع الخلائق نهائياً، ويتصلوا بالله ـ ﷻ ـ، هذا هو الَّذي قاتلهم النبي ﷺ لأجله؛ كما في قوله ﷻ: M **وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ** © **وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ** L[3]، والآية الأخرى: M F G H I J K L LM L[4]، الدين هو ما شرعه الله ـ ﷻ ـ لعباده، هذا هو الدين[5].

الدعاء: عبادة قلبية قولية، فالقلب يتعلق بالمدعو، ويتلفظ اللسان بعبارات الأمور الَّتي يحب الدَّاعي أن يحققها له المدعو.

قال الشّيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ:

إن الدعاء ينقسم إلى قسمين: دعاء عبادة، ودعاء مسألة[6].

---

(١) سورة الإنسان (آية : ٧).

(٢) سورة الأنعام (آية : ١٦٢).

(٣) سورة الأنفال (آية : ٣٩).

(٤) سورة البقرة (آية : ١٩٣).

(٥) شرح كشف الشّبهات للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ (ص: ٢٤ – ٢٥).

٦) الدعاء نوعان : دعاء عبادة ، ودعاء مسألة كما حققه غير واحد، منهم : شيخ الإسلام وابن القيم وغيرهما ، ويراد به في القرآن هذا تارة ، وهذا تارة ، ويراد به مجموعهما ، وهما متلازمان . انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٩م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد أيمن الشبراوي (ج ١ ، ص ١٧١).

❖ **دعاء العبادة**: مثل قولك: سبحان الله، والحمد لله، و لا إله إلا الله، والله أكبر.

❖ **دعاء المسألة**: مثل قولك: رب اغفر لي، رب اشرح صدري، رب هب لي من لدنك ذرية طيبة، أسألك الجنة، أعوذ بك من النار .

الفرق بين دعاء العبادة ودعاء المسألة :

"دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة."

معنى الالتزام والتضمن : قال الشّيخ ـ رحمه الله ـ :

"معناه: أن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، دلالة التّزام ودلالة تضمن، دلالة الالتزام للخارج عن نفس الدعاء إلا أنه من لوازمه، والتضمن هو مضمون ذلك الدعاء."

المفاضلة بين نوعي الدعاء:

يقول الشّيخ ـ رحمه الله ـ :

"دعاء العبادة أفضل من دعاء المسألة." (١)

وممن ذهب إلى التّقسيم الّذي أشار إليه الشّيخ عبد الله ـ رحمه الله ـ شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم ـ رحمهما الله ـ(٢) :

"واعلم أن الدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة؛ كما حققه غير واحد، ويراد به القرآن، هذا تارة، وهذا تارة، ويراد بها مجموعهما، وهما متلازمان، فدعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي، من جلب نفع، أو كشف ضر، فالمعبود لا بد أن يكون مالكاً للنفع والضر، ولهذا أنكر الله ـ جل جلاله ـ على من عبد من دونه ما لا يملك ضراً ولا نفعاً؛ يبين أن المعبود لا بد أن يكون مالكاً للنفع والضر، فهو يدعى للنفع والضر دعاء مسألة، ويدعى خوفاً ورجاء دعاء العبادة، فعلم أن النوعين متلازمان" (٣).

---

١) شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ ، باب من الشّرك أن يستغيث بغير الله .

٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب(١/ ١٧١) .

٣) شرح كتاب التّوحيد (ص: ١٨٠) .

وكلا نوعي الدعاء لا يجوز صرفهما إلا لله ـ ﷻ ـ :

يقول الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ :

"نوعا الدعاء لا يجوز صرف شيء منها إلا لله ــ ﷻ ــ ، فعبَّاد القبور يقولـون: نحـن لا نعبد هذا؛ لأن الدعاء يعتبر دعاء مسألة، ولم يكن دعاء عبادة، فنسأل صاحب هـذا القبـر أن يقضي حاجتنا، وإلا فإن المستحق للعبـادة هـو الله. ففـرق بـين دعـاء المسألة؛ فـأنتم مـا تجدونه في القرآن اختصاص دعاء المسألة لله ﷻ إنما هذا دعـاء العبـادة. تقـول لهـم: لا، بـل القرآن جاء بنوعي الدعاء: دعاء العبادة، ودعاء المسألة، وهكذا كان الأنبيـاء صـلوات الله وسلامه عليهم يـسألون الله دعـاء مـسألة مثلمـا في قـصة زكريـا ، قـال ﷻ : M**وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا © خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ** L[1] هذا دعاء مسألة."[2] .

ومن قصة نوح، قال ﷻ : M L M N O P Q R S T U V W L[3] . هذا دعاء مسألة، وكذلك، قال ﷻ :M 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 L[4] . هذا دعاء مسألة، لو قال لك مثلاً قال: يا رسول الله. هذا نداء وليس دعاء، فأنا أنادي، وأنتم خلطتم الدعاء بالنداء، ولم تفرقوا بين الدعاء والنداء، أنا ما دعوت ميتًا، إنما أناديهم. نقول له: ما دمت ناديت باسم الدعاء، فهذا دعاء، فالله ـ ﷻ ـ سماه دعاء، قال ﷻ: M ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t L[5]كذلك في قصة زكريا M ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : L[6] سماه دعاء، وهو نداء، قال: M ( ) * + L، وقال: M 8 9

---

١) سورة الأنبياء (آية: ٨٩ – ٩٠).

٢) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ ، باب: من الشّرك أن يستغيث بغير الله .

٣) سورة الأنبياء (آية: ٧٦).

٤) سورة الأنبياء (آية: ٨٤).

٥) سورة الأنبياء (آية: ٨٧).

٦) سورة مريم (آية: ٣ – ٤).

: L فهذا دليل على أن النداء دعاء عبادة، فأنت إذن في قولك: يا رسول الله، يا رسول الله المدد. نقول: دعوت، قال لك: أنا ما دعوت، أنا أناديه؛ مثل ما أقول لك: يا عبد الله، يا محمد، نقول: لا، أنت دعوت ميتًا، وهذا عبادة. يقول: أبداً. قلنا: هو دعاء، نداء دعاء، وإلا فاستدل عليه بأنه النداء بما تقدم من الآيات [١].

وبهذا أبطل الشّيخ عبد الله بن حميد -رحمه الله- حجة الدَّاعين غير الله.

ويقول الشيخ عبد الله بن حميد -رحمه الله- التوكل: عبادة قلبية: أن تفوض أمرك إلى الله -جل جلاله-، وتعتمد عليه في جميع أمورك، فصرف التّوكل لغير الله شرك أكبر ينافي التّوحيد، فإن التّوكل على الله -جل جلاله- من مقامات التّوحيد، ومن أعلاها وأجلها، ألا ترى أن الله -جل جلاله- يقول: M**وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ** L [٢].

والتوكل على المخلوق ثلاثة أقسام[٣]:

- § قسم جائز.
- § قسم شرك خفي، ويعبر عنه بأنه مكروه.
- § قسم شرك أكبر.

فالجائز: ما يذكره الفقهاء في مؤلفاتهم، ويسمونه باب الوكالة والقسم.

الثّاني من أقسام التّوكل: أن تعتمد على سلطان مثلاً، وهو قادر، أي: أن بيده سبباً ينفعك به، أو يضرك به، فهذا من الشّرك الخفي، متى اعتمد عليه؛ لأن السّبب بيده، فيجب أن تعرف أن الله هو الّذي أوجد السّبب بيده.

والقسم الثّالث: صرف التّوكل لغير الله شرك أكبر ينافي التّوحيد، قال سبحانه وتعالى: M**وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ** L [٤]. فإن تقديم المعمول على عامله يفيد الحصر."[١]

---

١) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد -رحمه الله-، باب: من الشّرك أن يستغيث بغير الله.

٢) سورة المائدة (آية: ٢٣).

٣) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد -رحمه الله- باب قول الله تعالى (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) من تفريغ البّاحثة.

٤) سورة المائدة (آية: ٢٣).

ويرى الشيخ ابن حميد أن الأخذ بالأسباب المشروعة لا ينافي التوكل، يقول ـ رحمه الله ـ:
"مع أننا لا ننكر الأسباب الشّرعية، فالأسباب جاءت بها الشّريعة، فإن النبي ﷺ يقول: (**عباد الله تداووا، ولا تداووا بمحرم، فإن الله لن يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها**)[٢]. هذا من باب تعاطي الأسباب، والأسباب الجائزة هي ما دل على الشّرع، ولهذا قال النبي ﷺ: «**وَلاَ تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ**» "[٣]

ويقول ـ رحمه الله ـ في موضع آخر: "ثم أيضاً التّوكل مع تأخر فعل الأسباب لا شك أنه عجز، فأنت مأمور بالتوكل والاعتماد على الله، ومأمور بتعاطي الأسباب الّتي يحصل التّوكل، والله ـ جل جلاله ـ خلق الأسباب، وربط الأسباب بمسبباتها." [٤]

الاستعاذة: عبادة قلبية قولية.

يقول الشيخ ـ رحمه الله ـ في بيان معنى الاستعاذة: "معنى الاستعاذة: الالتجاء والاعتصام بالله ـ جل جلاله ـ".

"الاستعاذة عبادة، فمن استعاذ بغير الله ـ جل جلاله ـ فيما لا يقدر عليه إلا الله، فقد جعله شريكاً لله، فإذا قلت: أعوذ بالله من الشّيطان الرجيم، فأنت بهذا تعتصم بالله، وتلتجئ إليه، وتتضرع إليه بأن يقيل هذا الشّر الّذي استعذت بالله منه".

والعياذ واللياذ بمعنى واحد، إلا أن اللياذ يكون في طلب الخير، والعياذ يكون في دفع المكروه، والمراد بالاستعاذة هو أنك المتعبد، والله ـ جل جلاله ـ هو المستعاذ به، والمستعاذ منه هو ذلك الشّر من شيطان، أو جني، أو غير ذلك.

---

١) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ باب قول الله تعالى (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) من تفريغ البّاحثة.

٢) (**عباد الله تداووا**) أخرجه أبو داود (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٨) وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى (٧٥٥٣)، وابن ماجة (٣٤٣٦). بلفظ: « **يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا** »، **وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٧٩٣٤).**

٣) شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ، باب من الشّرك لبس الحلقة والخيط ....

٤) الإيمان الحقيقي – للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ، مسجل، من تفريغ البّاحثة.

فالاستعاذة الّتي معناها الالتجاء والاعتصام لا يجوز صرفها لغير الله ـ ﷻ ـ ، فإن الله هو الَّذي يقيك ويحفظك من كل شر، فمتى دخلت عليه، والتجأت إليه، واعتصمت به حقيقة، وصدر ذلك من قلب حي، فالله ـ ﷻ ـ يحفظ الإنسان، ويعيذه مما استعاذ منه.

وقد جاء القرآن العظيم في آيات كثيرة، أنك لا تستعين إلا بالله ـ ﷻ ـ، قال ﷻ: 4M 5 6 7 L[1]، وقـــال ﷻ: Mm n o p q r s t L[2] {سورة النحل: ٩٨} وقال ﷻ: M y z { | } ~ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ L[3] [4]

المحبة: عبادة قلبية.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ عن المحبة :

"لا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة، وإنما يتكلم النَّاس في أسبابها وموجباتها، وعلاماتها وشواهدها، وثمراتها وإحكامها." [5]

وقيل: الحب عبارة عن ميل الطبع في الشّيء الملذ، فإن تأكد الميل وقوِيَ، سُمِّيَ عشقاً."[6]، والعبادات جميعها مبناها على المحبة الصّادقة لله ـ ﷻ ـ ، ولما جاء به الرسول ﷺ، فإذا أحب العبد شيئاً أتقنه .

قال سهل بن عبد الله: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ.

وقيل: الحب عند العرب إرادة الشّيء على قصد له[1].

---

١) سورة الفلق (آية : ١).

٢) سورة النحل (آية : ٩٨).

٣) سورة فصلت (آية : ٣٦).

٤) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ ، باب: من الشّرك الاستعاذة بغير الله، تفريغ البّاحثة.

٥) مدارج السّالكين لابن القيم الجوزية ـ رحمه الله ـ (١٠/٣).

٦) الكليات للكفوي (ص: ٣٩٨).

والمحبة عبادة عظيمة، أثنى الله ـ ﷻ ـ على المتصفين بها، قال سبحانه وتعالى: M Y Z [\ ] L[٢]، وقال سبحانه وتعالى: M t u v w x y L[٣].

يقول الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ:

"المحبة المقتضية لتعظيم المحب للمحبوب فهذه لا تجوز إلا لله ـ ﷻ ـ ، وهذه المحبة تستلزم طاعة المحب لمن أحب، والخضوع له، والانقياد له، وهذا من لازمها، وهذه هي العبادة. فمتى صرف شيئاً منها لغير الله ـ ﷻ ـ ، فقد أشرك به؛ لأن المحبة تقتضي طاعة المحبوب، والانقياد، والخضوع له، والتعظيم، والذل له، هذا من لازم المحبة الحقيقية، ولهذا أنزل الله آية الامتحان لمن زعم أنه يحب الله سبحانه وتعالى: M > ? @ A B C D E F G H L[٤]فالدَّعوى المجردة لا تنفع، بل الدَّعوى لا بد لها من علامات، فالله ـ ﷻ ـ لم يقبل ممن يقول: إني أحب الله. حتى ينصب على هذه الدعوى علامات تؤيد دعواه، وهي متابعة النبي ﷺ، والاهتمام بما أمر به، و الامتناع عما نهى عنه.

ويقول ـ رحمه الله ـ:

"والمحبة من أعمال القلوب، ونتائجها وآثارها تظهر على الجوارح." [٥]

النذر: عبادة مالية بدنية.

يتكلم الشّيخ عبد الله ـ رحمه الله ـ عن النذر فيقول:

النذر لغةً: الإيجاب .

واصطلاحاً: أن يوجب الناذر في ذمته ما لم يكن واجباً عليه قبل ذلك.

---

١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٤/٦٣).

٢) سورة البقرة (آية: ١٦٥).

٣) سورة المائدة (آية: ٥٤).

٤) سورة آل عمران (آية: ٣١).

٥) شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ ، تحت باب قول الله ﷻ: **(ومن النَّاس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحبِّ الله)** من تفريغ البّاحثة.

والنذر لله طاعة من الطاعات، وهو أقسام، وهذا بالنسبة للنذر الَّذي لله.

أما النذر الَّذي لغير الله ـ كما سنذكره ـ، فهذا شيء آخر، وقد ذكر العلماء في كتب الأحكام أن النذر أقسام:

أولا: النذر المباح.

الثاني: نذر المكروه.

الثالث: نذر اللجاج والغضب.

الرابع: نذر المعصية.

الخامس: نذر التّبرر.

فالنذر عبادة، وحينئذ صرفه لغير الله شرك، والدليل على أنه عبادة قول الله ـ ﷻ ـ:

M) * + , - . / L[١]، أي: طويلا، فهل في الآية ما يدل على أن النذر عبادة؟ نقول لك: نعم. ووجه الدلالة من الآية على أنه عبادة أن الله ـ ﷻ ـ مدحهم على الوفاء بنذورهم، ولو كان النذر مباحاً، لم يمدحهم الله، وإنما مدحهم لأداء واجب، أو فعل مستحب، أو لترك محرم، فدل على أنه عبادة، والمستحب عبادة، والواجب عبادة، وترك المحرم من أجل الله ـ ﷻ ـ عبادة [٢].

عبادة الشّكر: عبادة قلبية قولية:

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

"والشكر في وضع اللسان: ظهور أثر الغذاء في أبدان الحيوان ظهوراً بيناً، يقال: شكرت الدابة تشكر شكراً، على سمنت تسمن سمناً، إذا ظهر عليها أثر العلف."

وقال أيضاً: "وحقيقته في العبودية: ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناء واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة" [٣].

---

١) سورة الإنسان (آية: ٧).

٢) شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ، بتصرف، باب: من الشّرك النّذر لغير الله، من تفريغ البّاحثة.

٣) مدارج السّالكين (٢/٢٥٤).

ويقول الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في بيان معنى الشكر:

" الشّكر مبني على ثلاثة أركان، قد تقول: ما هي ثلاثة الأركان في الشّكر، هذا ينطبق على قول الرجل: هذا مالي، وورثته عن آبائي. نقول لك: لا. الشّكر ينبني على ثلاثة أركان :

أولاً: الاعتراف بالنعم ظاهراً، التّحدث بالنعم ظاهراً .

الثاني: الاعتراف بها باطناً .

الثالث: صرفها في مرضاة مسديها ومموليها .

هذا هو الشّكر، أولا: التّحدث بالنعم ظاهراً، يعني: اللسان ينطلق بأن هذه النعم من الله، وتتكلم بهذا، وتعترف أنه ليس من حداثتك، ولا من معرفة لوجوه المكاسب، فكيف تتحدث بأن هذا من الله. وتعترف بقلبك حقيقة أن المنعم المتفضل الّذي ساقه إليك هو الله، فاللسان يطابق ما في القلب، والثالث: أن هذه النعم تستعين بها على طاعة الله، وتصرفها في مرضاته، فإن استعنت بها على معصية الله، أو صرفتها في سخط الله، لم تكن شاكراً، كما لو تحدثت بهذه النعم أن هذه بسبب عملك، أو بسبب فلان، أو بسبب فلان، لم تكن شاكراً، وقال عون بن عبد الله: وقولهم: لولا فلان، لم يكن كذا وكذا، تقول: لولا فلان أشركني في هذه المساهمة، ما حصل الكسب هذا. أو تقول: لولا فلان أشار علي أن أشتري هذه الأرض، ولزّم عليَّ، قال: ما حصَّلتُ شيئًا. طيب ليس هناك مانع، من لا يشكر النَّاس لا يشكر الله، لكن اشكر الله، الله هو الّذي أمرك، ثم أيضاً الرب هو الّذي رتب الأسباب؛ حتى حصل لك هذا المكسب، فكيف تنسب النعم إلى هذا الشّخص الّذي أشار عليك؟ بل المنعم المتفضل هو الله، وهذا لا ينبغي أن تنسى فضله، بل هو سبب، فتشكره، لكن ليس هو الكل، هذا معنى قول عون بن عبد الله: لولا فلان، لم يكن كذا. أي: لولا وجود فلان، أو لم يكن فلان، لما حصل لي هذه النعمة، ولما صرفت إلي، لكنها جاءتني من أجل فلان، أو بفلان الّذي أشار إلي، أو أشركني، أو ما أشبه ذلك" (١).

---

١) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ ، باب قول الله ﷻ: يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها.

النفقة: عبادة مالية:

في هذا الباب يقول الشّيخ عبد الله ـ رحمه الله ـ في قوله ﷻ: M ! " # $ % & ' ( ) * + - . / 0 L[١]: دلت هذه الآية على أن النفقة عبادة؛ لأن الإنسان إذا أنفق نفقة يريد بها وجه الله فهي عبادة، حتى إن سعداً سأل النبي ﷺ عن ما ينفقه على أهله، قال ﷺ: **«حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ»**[٢]، يعني أن لك بذلك أجراً، فهذا يدل على أن النفقة عبادة، قال ﷻ: M ! " # $ % & ' ( ) * + L[٣] إذ لو كان مباحاً، ليس لك أجر، ولا عليك إثم؛ لأن المباح هو مستوٍ بين الطرفين، إن فعلته، فليس لك أجر، وإن تركته، فليس عليك إثم، فإذا كان يثاب على فعله، صار عبادة، أو إن كان يعاتب على تركه، صار عبادة[٣].

الذبح: عبادة مالية قلبية:

وفي هذا الشأن يقول الشّيخ ـ رحمه الله ـ: "الأدلة على أن الذبح عبادة كثيرة، منها قوله ﷻ: M **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ©رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ** ´ µ ¶ L[٤]، فقوله ﷻ: M **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي** L صريح في أن الصّلاة لله، والذبح لله، فكما أنه لو صلى لغير الله، كان بذلك كافراً، فكذلك متى ذبح لغير الله، فقد قرن الله الذبح مع الصّلاة، وجعلها مثيلة ومقارنة لها، ما يعلم بها أنه عبادة لله ﷻ

الدليل قوله ﷺ: **«لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»**[١]، وهذه الآية جمع بين الأمرين: بين عبادة بدنية، وهي الصّلاة، وعبادة مالية، وهي الذبح. فهو عبادة مالية، فإنك صرفت

---

١) سورة البقرة (آية: ٢٧٠).

٢) أخرجه البّخاري(٣/١٤٣١برقم: ٣٧٢١)، ومسلم(٣/١٢٥١ برقم ١٢٥١)..

٣) سورة البقرة (آية: ٢٧٠).

٤) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله ، مرجع سابق، باب: من الشّرك النّذر لغير الله.

٥) سورة الأنعام (آية: ١٦٢- ١٦٣).

٦) أخرجه مسلم(٣/١٥٦٧ برقم: ١٩٧٨).

مالك لقوة الإيمان واليقين الَّذي نشأ عن قلبك، صرفته لله ـ سبحانه ـ، كأنك جمعت بين أقوالك وأفعالك وبين مالك، وصرفت الجميع لله متقرباً له بذلك." (٢)

الصّبر: عبادة قلبية بدنية: يتكلم الشيخ ـ رحمه الله ـ **عن الصبر فيقول :** "إن الصبر لغةً كالحبس: هو حبس النفس عن التّشكي، وحبس اللسان عن إظهار الجزع، وحبس الجوارح عما ينافي الصّبر؛ كاللطم، وشق الجيوب، ولطم الخدود، وما أشبه ذلك" .

أقسام الصّبر:

أولاً: الصّبر على طاعة الله .

ثانياً: الصّبر عن معاصي الله .

ثالثاً: الصّبر على أقدار الله .

فأما **النوع الأول** : الصّبر على طاعة الله: مثل الصّبر على الصّلاة، والحج، والصوم، وطاعة الله جهاد، فلا بد أن تجاهد نفسك .

النوع الثّاني: الصّبر عن معاصي الله، فالنفس تميل إلى أن تتناول شهواتها وملذاتها، فيجب عليك أن تصبر، وتمنعها من فعل ما حرم الله.

والثالث: الصّبر على أقدار الله، إذا قدَّر الله عليك أمراً، فعليك أن تستسلم، وترضى، وتسلم بما قدَّر الله، مطمئن البال، منشرح الصّدر، راضياً بما قدره الله عليك (٣)

---

١) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله ، باب: ما جاء في الذبح لغير الله .

٢) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله ، باب: من الإيمان بالله الصّبر على أقدار الله . من تفريغ البّاحثة.

الفصل الرَّابع
توحيد الأسماء والصِّفات

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف توحيد الأسماء والصِّفات .

المبحث الثَّاني : صلة الأسماء والصِّفات بتوحيد الألوهية(العبادة) .

المبحث الثَّالث : بيان الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ لمذهب السّلف في الأسماء والصِّفات .

المبحث الرَّابع : الأسماء والصِّفات الّتي تكلم عليها الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ .

المبحث الأول

تعريف توحيد الأسماء والصِّفات

تعريف توحيد الأسماء والصفات:

الأسماء: جمع اسم، والاسم: "مشتق من السمو، أي: العلو. أو من الوسم، أي: العلامة..." [(١)]، وهو اللفظ الدال على المسمى[(٢)]، وأسماء الله ـ ﷻ ـ كل ما دل على ذات الله ـ ﷻ ـ مع صفات الكمال القائمة به كالعليم، والقدير، والحكيم، والسميع، والبصير[(٣)].

والاسم لغةً: أصله من (السمو) بمعنى العلو والارتفاع تقول: سما الشيء يسمو سمواً، أي ارتفع. وساماه: فاخره وباراه[(٤)].

والاسم اصطلاحاً: هو الدال بمعنى يقوم بذات الشيء[(٥)]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أسماء الأشياء هي الألفاظ الدالة عليها"[(٦)].

والصفات: جمع صفة، والصفة: أصلها "وَصَفَ" حذفت الواو وعوض عنها التاء[(٧)]. وهي ما "دل على معنى زائد على الذات"[(٨)]، وصفات الله ـ ﷻ ـ نعوت الكمال القائمة بذاته كالعلم، والقدرة، والحكمة، والسمع، والبصر[(٩)].

---

(١) الإيعاب شرح العباب (٣/١)، وانظر: تهذيب اللغة (١٧٤٨/٢)، الصحاح (٢٣٨٣/٦)، معجم مقاييس اللغة (ص٤٩٠)، لسان العرب (٤٠١/١٤)، القاموس المحيط (ص١٦٧٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٨٩/٦، ١٩٢)، بدائع الفوائد لابن القيم (١٦/١).

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء (١١٦/٣).

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي (٣٤٤/٤)، وانظر مجموع الفتاوى (٢٠٧/٦- ٢٠٩).

(٥) نشر الطوالع للمرعشي (ص٢٩٧).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى ١٩٥/٦، ١٩٧.

(٧) انظر: تهذيب اللغة (٣٩٠٠/٤- ٣٩٠١)، الصحاح (١٤٣٨/٤- ١٤٣٩)، معجم مقاييس اللغة (ص١٠٩٣)، لسان العرب (٣٥٦/٩)، القاموس المحيط (ص١١١١).

(٨) المنح الملكية (٨٨١/٢).

(٩) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء (١١٦/٣).

الصفة لغةً :

الصفة أصلها كالعدة من الوعد، ووصف الشيء يصفه وصفاً وصفةً: نعته[١]. وفي التفرقة بين الوصف والصفة أقوال:

١ – فقيل: الوصف: تحلية الشيء. والصفة: الأمارة اللازمة للشيء [٢].

٢ – وقيل: " الوصف: ذكر الشيء بحليته ونعته، والصفة: الحال التي عليها الشيء من حليته ونعته، كالزنة التي هي قدر الشيء. والوصف قد يكون حقاً وباطلاً"[٣]، قال الله ـ تعالى ـ: M } | { ~ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ © إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ L [٤]، تنبيهاً على كون ما يذكرونه كذباً، وقوله ـ تعالى ـ: M سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ L [٥]، تنبيه على أن أكثر صفاته ليس على حسب ما يعتقده كثير من الناس، ولم يتصور عنه تمثيل وتشبيه. وأنه يتعالى عما يقوله الكفار، ولهذا قال ـ تعالى ـ: M G H L [٦].

٣ – وقيل: الوصف: المصدر، والصفة: الحلية .

الصفة اصطلاحاً:

الصفة في اصطلاح المتكلمين: حال وراء الذات، أو ما قام بالذات من المعاني والنعوت، وهي في حق الله ـ جل جلاله ـ نعوت الجلال، والجمال، والعظمة، والكمال. كالقدرة، والإرادة، والعلم، والحكمة [٧].

والفرق بين الأسماء والصفات أن الأسماء تدل على الذات مع دلالتها على صفات الكمال، وأما الصفات فإنها تدل على معنى قائم بالذات فقط، فالأسماء تدل على

---

(١) لسان العرب ٣٥٦/٩، القاموس المحيط للفيروز آبادي (٢٠٤/٣).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١١٥/٦).

(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب (ص/٥٢٥).

(٤) سورة النحل (آية : ١١٦) .

(٥) سورة الصافات (آية: ١٨٠) .

(٦) سورة الروم (آية : ٢٧).

(٧) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة، للشيخ محمد بن أمان الجامي (ص٨٤).

أمرين، والصفات تدل على أمر واحد[١].

وعليه فتوحيد الأسماء والصفات: "هو إفراد الله ـ ﷻ ـ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في القرآن والسنة، والإيمان بها، وبمعانيها، وأحكامها "[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : " الأصل في هذا الباب أن يوصف الله ـ ﷻ ـ بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسله نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه، وقد عُلِمَ أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف[٣]، ولا تمثيل[٤]، ومن غير تحريف[٥]، ولا تعطيل[٦]. وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع إثبات ما أثبته من الصفات، من غير إلحاد في أسمائه ولا في آياته[٧].

فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل كما قال ـ تعالى ـ: M ! " # % & ' ( ) * + , . / 1 2 3 5 6 7 L[٨].

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (١/١٦٢)، فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء (٣/١١٦)، وللاستزادة: دفع إيهام التشبيه د.محمد السمهري (ص٣٧).

(٢) معتقد أهل السُّنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات للتميمي (ص٣١)، وانظر: تيسير العزيز الحميد (ص٣٤)، فتح المجيد (١/٧٩)، القول السديد للسعدي (ص١٠)، معارج القبول (١/٩٨)، القول المفيد لابن عثيمين (١/١٢).

(٣) التكييف أن يقال بأن الصفة على هيأة كذا، وكيفية معينة.

(٤) التمثيل هو إثبات مثيل للشيء.

(٥) التحريف هو : تغيير ألفاظ أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، أو تغيير معانيها إلى معانٍ باطلة لا يدل عليها الكتاب والسنة. فالتحريف اللفظي مثل نصب لفظ الجلالة في قوله تعالى: " وكلم الله موسى تكليما" ليكون التكليم من موسى، والتحريف المعنوي كتحريف معنى اليدين المضافتين إلى الله ﷻ إلى القوة والنعمة ونحو ذلك.

(٦) التعطيل هو : إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات، أو إنكار بعضها

استقيت هذه التعاريف من : التحفة المهدية لابن مهدي (ص ٢٥٩)، وفتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن عثيمين(ص ٥٤- ٥٥).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (٣/٣).

(٨) سورة الشورى (آية : ١١).

وتوحيد الأسماء والصِّفات، وهو ثالث أنواع التّوحيد الّتي يتكلم عليها أهل السّنة والجماعة، وهو من أهم أنواع التّوحيد؛ إذ فيه كيفية التّعامل مع ما وصف الله ـ ﷻ ـ به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، وكذا الأسماء، وكيفية إثبات هذه الصّفات للباري ﷻ، ولكثرة ما وقع من الفتن، وظهور الأقوال الكثيرة المخالفة لنصوص الكتاب والسّنة، وإجماع الصّحابة، كان لأهل السّنة والجماعة موقف يحددون به التّعامل مع نصوص الكتاب والسّنة، وما أجمع عليه صحابة النّبي ﷺ، وهذا الموقف قائم على التّسليم لنصوص الوحيين، وعدم التّأويل، أو التّحريف، أو النّفي الّذي يسمى بالتّعطيل.

وقد سلك الشّيخ ـ رحمه الله ـ هذا المسلك الّذي رضيه أهل السّنة والجماعة في الحاضر والماضي، وقد عرّف الشّيخ ـ رحمه الله ـ توحيد الأسماء والصِّفات بقوله:

"هو اعتقاد انفراد الله ـ ﷻ ـ بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال، وذلك بإثبات ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصِّفات من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، بل نعتقد أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير." [١].

❖ **أما التّحريف** فهو في اللغة: التّغيير[٢]. وفي الاصطلاح: تغيير اللفظ دون المعنى[٣].

قال الراغب[٤]: تحريف الشّيء: إمالتّه؛ كتحريف القلم. وتحريف الكلام: أن تجعله على شكل حرف من الاحتمال، يمكن حمله على الوجهين [٥].

---

١) مجلة التوعية الإسلامية، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السنة التاسعة، العدد الثالث، رسالة في التوحيد، سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد ـ رحمه الله ـ، الحلقة الثانية، (ص: ٢٧).

٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي (ص: ٧٣٨).

٣) التّعريفات للجرجاني (ص: ٧٥).

٤) هو: الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم **الأصفهاني** أو الأصبهاني المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء من أهل أصبهان، سكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. من كتبه: محاضرات الأدباء، والذريعة على مكارم الشريعة، والمفردات في غريب القرآن... وتوفي سنة ٥٠٢هـ ، كما ذكره الزركلي في الأعلام(٢/٢٥٥)، ورضا عمر كحالة في معجم المؤلفين(١/٦٤٢).

٥) المفردات في غريب القرآن(١/١١٤).

❖ **والتّعطيل:** التّفريغ والإخلاء، وترك الشّيء ضياعاً [١].

والتّعطيل في الاصطلاح: هو جحد الصّفات، وإنكار قيامها بذاته سبحانه، ونفي ما دلت عليه من صفات الكمال [٢].

❖ **والكيفية:** عبارة عن الهيآت والصور والأحوال[٣]. وأيضاً كيفية الشّيء: حاله، وكنهه، أو السّؤال عنه بصيغة كيف. **فالتّكييف:** البحث في كنه الصّفات[٤].

❖ **والتّمثيل:** أصله: مثّل تمثيلاً، إذا صور مثاله بالكتابة أو غيرها [٥].

وفي الاصطلاح: التّمثيل: هو التّشبيه[٦]، يقال: الشّيء بالشّيء، أو سواه وشبهه به، وجعله مثله، وعلى مثله [٧].

وعرفه غيره بقوله: "وتوحيد الأسماء والصِّفات هو أن يوصف الله ـ ﷻ ـ بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله – ﷺ –، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل [٨].

وهذا التّعريف هو المشهور عند متأخري أهل السّنة والجماعة، وأول من ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فيقول: "ومن الإيمان بالله ـ ﷻ ـ الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل."[٩]

---

١) القاموس المحيط للفيروز آبادي (ص: ٩٥١).

٢) التّنبيهات السّنية على العقيدة الواسطية (ص: ٢٦).

٣) الكليات للكفوي (ص: ٧٥٢).

٤) الرّوضة النّدية شرح العقيدة الواسطية. لزيد بن فياض (ص: ٢٨).

٥) مختار الصّحاح للرازي (ص: ٦١٥).

٦) التشبيه هو : إثبات مشابه للشيء، والفرق بين التمثيل والتشبيه أن التمثيل يقتضي المماثلة والمساواة من كل وجه، والتشبيه يقتضي المشابهة في أكثر الصفات.(التحفة المهدية لابن مهدي(٢٥٩)

٧) التّنبيهات السّنية (ص: ٢٨).

٨) التّنبيهات السّنية على العقيدة الواسطية (ص: ٢٢)، وما بعدها.

٩) شرح العقيدة الواسطية. للشيخ محمَّد الصّالح العثيمين ـ رحمه الله ـ (١/ ٧٢)، وما بعدها.

أقسام الصفات

إن الله جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية ليس معناه أحد من البرية تعالى عن الحدود والغايات والاركان والاعضاء والادوات ولا تحويه الجهات الست كسائر المبدعات.[1]

إن الله ﷻ موصوف بصفات الوحدانية، أي أنه ﷻ متوحد في صفاته (**منعوت بنعوت الفردانية**) ،يعني أن كل نعت ينعت به الرب ﷻ على أساس أنه منفرد فيه، فهو ﷻ فرد في أسمائه وصفاته وذاته، وهو ﷻ وتر وفرد، وصفاته ﷻ هو فيها فرد ، فلا يماثله شيء ولا يشاركه فيها أحد ﷻ.

يشير الطحاوي رحمه الله إلى تنزيه الرب ﷻ بما وصف نفسه نفياً واثباتاً، وكلام الشيخ مأخوذ من معنى سورة الأخلاص فقوله موصوف بصفات الوحدانية مأخوذ من قوله ﷻ: M! " # $ % & ' (L[2]وقوله منعوت بنعوت الفردانية من قوله ﷻ: M (* + , - L ، وقوله ﷻ: ليس في معناه أحد من البرية من قوله ﷻ: M . / 0 1 2 L ،وهو أيضاً مؤكد لما تقدم من إثبات الصفات ونفي التشبيه والوصف والنعت مترادفان، وقيل متقاربان فالوصف للذات والنعت للفعل وكذلك الوحدانية والفردانية وقيل في الفرق بينهما إن الوحدانية للذات والفردانية للصفات.[3]

والطحاوي لم يفرق بين الصفة والنعت ؛ لأن الله ﷻ له الصفات العلا ، وله النعوت العُلا ، فله المثل الأعلى، والصفة والنعت هي المثل في القرآن في قوله ﷻ: M G H

---

١) الورع ، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبدالله ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. زينب إبراهيم القاروط (ج ١ ، ص ٢٠٠).

٢) سورة الإخلاص (الآية : ١- ٤)

٣) شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩١هـ، ط٤ (ج ١ ، ص ٢٣٨).

ا L[٢] ، يعني له النعت والصفة العليا ﷻ ،أما المخلوق فله الوصف الأدنى الذي يناسب ذاته الوضيعة الضعيفة المحتاجة، صفات الرب ﷻ ونعوته تنقسم إلى أقسام باعتبارات مختلفة، فتنقسم باعتبار قيامها بالرب ﷻ إلى قسمين: صفات ذات[١] ، وصفات فعل[٢].

القسم الأول: صفات الذات، وهي التي لا ينفك ربنا ﷻ عن الاتصاف بها لم يزل موصوفاً بها وهو متصف بها دائماً مثل الوجه، والعينين، واليدين، مثل الرحمة، والسمع، والبصر، فإن الله ﷻ لم يزل ذا وجه، وذا سمع، وذا بصر ﷻ . وكذلك سائر في صفاته الذاتية، ومنها صفة الرحمة فالله ﷻ متصف بصفة الرحمة وهي ملازمة له ﷻ.

القسم الثاني: صفات الأفعال، وصفات الفعل لله ﷻ يسميها بعض الناس من أهل العلم الصفات الاختيارية وهي التي يفعلها ربنا ﷻ تارة، ولا يفعلها تارة، صفات الفعل هي التي تقوم بالرب ﷻ بمشيئته وقدرته ﷻ، وهذه الصفات التي هي الصفات الاختيارية

أول من نفاها بخصوصها ابن كُلاَّب[٣] ثم تبعه أصحابه الكلابية، ثم تبعهم أبوالحسن الأشعري[١].

---

١) سورة الروم (آية : ٢٧).

٢) هي الصفات الأزلية الثابتة لله ﷻ التي لا تنفك عنه كصفة النفس، والعلم، والحياة، والقدرة، والسمع. انظر: الكواشف الجلية عن معاني الوسطية، لعبد العزيز محمد السلمان، شركة الراجحى، الطبعة العاشرة ١٤٠١هـ-١٩٨١م. ص ٤٢٩.

٣) الصفات الفعلية: هي الصفات الثابتة لله ﷻ التي تتعلق بالمشيئة، والقدرة، وهى قديمة النوع حادثة الآحاد كصفة الاستواء، والنزول، والضحك، والمجيء. انظر: المصدر السابق ص٤٢٩، ٤٣٠.

٤) هو: أبو محمد، عبد الله بن سعيد بن كُلاّب البصري، رأس المتكلمين، ابتدع بدعة الكلام النفسي ونفى الصفات الاختيارية، قال الذهبي عنه: (كان يقول بأن القرآن قائم بالذات بلا قدرة ولا مشيئة، وهذا ما سُبق إليه أبداً) ا. هـ. وكُلاب مثل خُطَّاف لفظاً ومعنى بضم الكاف وتشديد اللام، لقب به؛ لأنه كان لقوته في المناظرة يجتذب من يناظره كما يجتذب الكلاب الشيء، وأصحابه هم الكلابية، توفي بعد الأربعين ومئتين.

٥) انظر: سير أعلام النبلاء(١١/١٧٤)، وطبقات الشافعية (٢/٧٨)، وطبقات الشافعية الكبرى(٢/٢٩٩)، والوافي بالوفيات(١٧/١٠٤).

من جهة أخرى نقسم الصفات إلى قسمين: **صفات جلال، وصفات جمال**[٢].

القسم الأول: صفات الجلال، وهي الصفات التي فيها نعت الرب ﷻ بجلاله وعظمته، وقهره، وجبروته ﷻ، وهي التي تجلب في قلب الموحد الخوف منه ﷻ مثل صفة القوة، القدرة، القهر، الجبروت، وأشباه ذلك من صفات الجلال يعني من تأملها أجلَّ الله ﷻ وهابة وخافه ﷻ.

القسم الثاني: صفات الجمال، هي الصفات التي تبعث في قلب المؤمن محبة الرب ﷻ، والأُنس به، وبلقائه، وبمناجاته، وبالإنابة إليه، وهذه صفات كثيرة لله ﷻ، مثل صفة الرحمة، والرأفة، والمغفرة، وقبول التوبة، والسلامة، ومنها اسم الله، السلام، والمؤمن، وأشباه ذلك[٣].

فإذاً صفات العظمة هذه يُقال لها صفات جلال، ونعوت الرحمة والمحبة يقال لها صفات جمال، هذا اصطلاح لبعض علماء السنة، وهو اصطلاح صحيح[٤].

---

١) هو: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم الأشعري، ولد سنة ستين ومائتين، نشأ على مذهب المعتزلة، وتتلمذ على يد أبي علي الجبائي، ثم ترك مذهبهم وتبرأ منه، وسلك طريقة ابن كلاب، وانتشر مذهبه، ثم رجع عنه إلى مذهب أهل الحديث، وانتسب للإمام أحمد، وألف في مذهب أهل السنة والجماعة: الإبانة، والموجز، ورسائل الثغر، إلا أنه بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كلاب، وتوفي ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، قال الذهبي: ويقال بقي إلى سنة ثلاثين وثلاث مئة ا.هـ. انظر: تاريخ بغداد (٣٤٦/١١)، ووفيات الأعيان (٢٨٤/٣)، وسير أعلام النبلاء (٨٥/١٥)، وشذرات الذهب (٣٠٣/٢)، والبداية والنهاية (١٨٧/١١)..

٢) نقول: إن لله ﷻ صفات جلال وصفات جمال.. صفات الجلال تجدها في القهار والجبار والمذل.. والمنتقم. كل هذا من متعلقات صفات الجلال، أما صفات الجمال فهي الغفار والرحيم وكل الصفات التي تتنزل بها رحمات الله وعطاءاته على خلقه.

٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، والمسمى بـ ((إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل))، شرحها الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ(ج١٣، ص١٢).

٤) ممن استخدم هذا التقسيم: ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (ص١١٢)، والشنقيطي في آيات الأسماء والصفات (ص٣٢).

المبحث الثَّاني

صلة الأسماء والصِّفات بتوحيد الألوهية

الأسماء والصِّفات لها صلة عميقة بتوحيد الألوهية ، وهذا معلوم مركوز في الفطر ، فالذي يستحق العبادة يجب أن يكون موصوفاً بالكمال المطلق من جميع الوجوه ؛ لذلك يصف الله ﷻ نفسه بصفات الكمال ، ويعيب على المشركين عبادتهم لآلهة لا تسمع ، ولا تبصر ، ولا تعلم شيئاً ، وينفي عن نفسه ﷻ جميع صفات النّقص ، ويثبت لنفسه أضدادها ، فنفي صفات النّقص إثبات لأضدادها ، ولم أجد للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ بعد طول بحث كلاماً صريحاً في هذه المسألة ، وذلك لأسباب :

١) إما أن تكون هذه المسألة عنده مسألة بدهية .

٢) وإما أن يكون قد تكلم عليها في موضع آخر لا يوجد بين يديّ ، وقد وجدتُ هذا التعليق الجزئي : ويقرر أهل السّنة والجماعة بأن أنواع التّوحيد الثّلاثة متلازمة ، يقول الشّيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : "وإلى هذه الأنواع الثّلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين الّذين جاؤوا به من عند الله ـ ﷻ ـ ، وهي متلازمة ، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر ، فمن أتى بنوع منها ، ولم يأت بالآخر ، فما ذاك إلاَّ لأنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب." [١]

ويقول الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ :

"وتوحيد الأسماء والصِّفات ـ وهو المقصود في هذا الباب ـ فقد مر في شيء من الأحاديث ما يدل على هذا ، مثل حديث : "**إن الله يحب** "[٢]مثلاً في ذكر المحبة ، وكذلك في ذكر الرحمة ، وكذلك في ذكر الغضب : " **اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ** "[٣] وما أشبه ذلك مما سبق بيانه ، وتوحيد العبادة ، وهو لزوم الفرض الذي وضع لأجله هذا الكتاب ، وتوحيد الرّبوبية ، وتوحيد الأسماء والصِّفات ،

---

١) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التّوحيد (ص : ٣٣) .

٢) جاء هذا اللفظ في عدة أحاديث منها قوله ـ ﷺ ـ : "إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي" أخرجه مسلم (٢٩٦٥).

٣) أخرجه مالك في الموطأ (ص١٧٢ برقم٨٥) ، وعبد الرزاق في المصنف(١/ ٤٠٦ برقم١٥٨٧)مرسلاً. قال ابن عبد البر: **لا خلاف عند أهل العلم عن مالك في إرسال هذا الحديث** ، ورواه أحمد موصولاً .

هي وسيلة إلى توحيد العبادة."[١]

ويقول الشّيخ محمَّد الصّالح العثيمين ـ رحمه الله ـ عند شرحه لشهادة التّوحيد :

"الذي يتبادر إلى الذهن أن المراد بها توحيد العبادة الَّذي يسمى الألوهية، وهو متضمن لتوحيد الرّبوبية؛ لأن كل من عبد الله ـ جل جلاله ـ وحده، فإنه لن يعبده حتى يكون مقراً له بالرّبوبية، وكذلك متضمن لتوحيد الأسماء والصِّفات، ولهذا قال إبراهيم لأبيه: BAM L P O N M L K J I HG F E D C[٢]، فتوحيد العبادة متضمن لتوحيد الرّبوبية، وتوحيد الأسماء والصفات." [٣]

١) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ ، باب: من جحد شيئاً من الأسماء والصِّفات .

٢) سورة مريم، (آية : ٤٢)

٣) مجموع فتاوى وسائل فضيلة الشّيخ محمَّد الصّالح العثيمين ـ رحمه الله ـ (١/ ٨٢) .

المبحث الثَّالث

بيان الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ لمذهب السّلف في الأسماء والصِّفات، وفيه تمهيد ،وأربعة مطالب :

المطلب الأول: تقرير سماحة الشّيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ لقاعدة أهل السّنة والجماعة في الأسماء والصِّفات .

المطلب الثَّاني: تقرير سماحة الشّيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ لدلالات الأسماء والصِّفات عند أهل السّنة والجماعة.

المطلب الثَّالث: أنواع الدلالات ومعانيها عند الشّيخ رحمه الله.

المطلب الرَّابع: تقرير سماحة الشّيخ ـ رحمه الله ـ لقاعدة الإجمال والتّفصيل في الأسماء والصفات، وأمثلة لذلك .

المبحث الثَّالث

بيان الشّيخ عبد الله بن حميد - رحمه الله - لمذهب السّلف في الأسماء والصِّفات

تمهيد :

لَمَّا كان هذا المبحث من أهم مباحث هذا الفصل جعلت له مطالب دون غيره ؛ حتى يتضح بجلاء منهج الشّيخ عبد الله بن حميد ــ رحمه الله ــ في مسألة الأسماء والصفات، وكما هو معلوم طريقة أهل السّنة والجماعة في تقرير الأسماء والصِّفات، فلهم طريقتهم الخاصة الّتي تتماشى مع نصوص الكتاب والسّنة على فهم سلف هذه الأمة، ويحتاج هذا التّقرير إلى جهد كبير حتى يصل إليه الباحث، فآثار الشّيخ عبد الله بن حميد من رسائل وفتاوى لم تجد حظها من العناية والاهتمام عند الباحثين، بالمقارنة بغيره من أهل العلم، فالوصول إلى هذه المسائل يحتاج إلى عناء وجهد، وقد بذلت ما في وسعي حتى توصلت إلى ما بين يدي من هذه التّقريرات، ولعل غيري يجمع أكثر من هذا .

المطلب الأول: تقرير الشّيخ عبد الله بن حميد - رحمه الله - لقاعدة أهل السّنة والجماعة في الأسماء والصِّفات، وهي:

- § أن الاثبات معلوم المعنى ، مجهول الكيفية.
- § أن الإثبات مفصل ، والنفي مجمل.
- § نفي النقص عن اللَّه، النفي المتضمن لإثبات كمال الضد.
- § إثبات الصفات على وجه الكمال.
- § إثبات الأسماء على أنها حسنى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فالنفي لا يكون مدحاً إلا إذا تضمن ثبوتاً، وإلا فالنفي المحض لا مدح فيه، ونفي السوء والنقص عنه، يستلزم إثبات محاسنه وكماله، ولله الأسماء الحسنى، وهكذا عامة ما يأتي به القرآن في نفي السوء والنقص عنه، يتضمن

إثبات محاسنه وكماله، كقوله ﷻ: M s t u v w x y { | } L[١]، فنفي أخذ السِّنَة والنوم له، يتضمن كمال حياته وقيوميته، وقوله: M ? @ A B C D E F G H I J K L L[١]، يتضمن كمال قدرته ونحو ذلك فالتسبيح المتضمن تنزيهه عن السوء ونفي النقص عنه يتضمن تعظيمه)[١].

وقد درج الشّيخ ـ رحمه الله ـ على مذهب السّلف الصّالح في العقيدة، وكل ما يتعلق بها، وقرر ما عليه الأئمة، وبيّن مذهبهم فيما يعتقدونه في الله ﷻ في الأسماء والصِّفات، ورسائله مملوءة بهذا المنهج الطيب، ويشير أثناء كلامه إلى مذاهب المخالفين، ويرد عليهم[٢].

نقل الشّيخ لكلام الأئمة فيما يعتقدونه في الأسماء والصِّفات، قال ـ رحمه الله ـ: "وقد سئل الإمام مالك ـ رحمه الله ـ عن قوله ﷻ: M Y Z [\ L[١]، كيف استوى؟ فأطرق مالك، وعَلَتْهُ الرَّحضاء – يعني: العرق – وانتظر القوم ما يجيء من فيه، فرفع رأسه إليه، وقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسّؤال عنه بدعة، وأحسبك رجل سوء. وأمر به فأُخرج."[٣]

وهذا الجواب من مالك في الاستواء كافٍ شاف في جميع الصّفات، مثل: النّزول، والمجيء، واليد، والوجه، وغيرها، فيقال في النّزول: النّزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسّؤال عنه بدعة. وهكذا يقال في سائر الصّفات الواردة في الكتاب والسّنة"[٤].

---

١) سورة البقرة (من آية: ٢٥٥)

٢) سورة ق (آية: ٣)

٣) انظر: مجلة التوعية الإسلامية، رسالة في التوحيد، سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد ـ رحمه الله ـ، فصل في توحيد الأسماء والصفات، الحلقة الثانية، (ص٢٧).

٤) رسالة التّوحيد وبيان العقيدة السّلفية النّقية للشيخ ـ رحمه الله ـ (ص: ٢٦).

٥) سورة طه (آية: ٥)

٦) كتاب العلو. ابن قدامة المقدسي ـ رحمه الله ـ (ص: ١٠٤).

٧) رسالة التّوحيد وبيان العقيدة السّلفية النّقية للشيخ ـ رحمه الله ـ (ص: ٢٦).

ونقل عن أبي بكر بن خزيمة قوله:

"من لم يُقر بأن الله على عرشه، استوى فوق سبع سموات، بائن من خلقه، فهو كافر، يستتاب، فإن تاب، وإلا ضُربت عنقه، وألقي على مزبلة؛ لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة وأهل الذمة." (١) (٢)

وقال عبد الله بن المبارك :

"نعرف ربنا فوق سبع سموات بائناً من خلقه، ولا نقول كما قال الجهمية: إنه هاهنا، وأشار إلى الأرض." (٣)

ويقرر الشّيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ قاعدة أهل السّنة والجماعة فيما يتعلق بإثبات الصّفات فيقول : "جميع الصّفات مثل: النّزول، المجيء، واليد، والوجه، وغيرها، فيقال في النّزول: النّزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسّؤال عنه بدعة، وهكذا يُقال في سائر الصّفات الواردة في الكتاب والسّنة. ولا يجوز تأويل الاستواء على العرش بالاستيلاء؛ لأنه لو كان كذلك، لم يكن ينبغي أن يخص العرش بالاستيلاء عليه دون سائر خلقه؛ إذ هو مستو على العرش، وعلى الخلق، ليس للعرش مزية." (٤)

ويثبت الشّيخ ـ رحمه الله ـ جميع الصّفات الواردة في الكتاب والسّنة بناءً على هذه القاعدة، فيقول:

"ونظائرها مما نطق به القرآن: كالفوقية، والنّفس، واليدين، والسّمع، والبصر، والكلام، والعين، والنّظر، والإرادة، والرضاء، والغضب، والمحبة، والكراهة، والقرب والبعد، والسّخط، والاستجابة، وصعود الكلام الطيب إليه، وعروج الملائكة والروح إليه، ونزول القرآن منه، وندائه الأنبياء، وقوله للملائكة، وقبضه وبسطه، وعلمه، ووحدانيته، وقدرته، ومشيئته، وصمدانيته، وفردانيته، وأوليته، وآخريته، وظاهريته، وباطنيته، وحياته، وبقائه، وأزليته، ونوره، وتجليه، والوجه، وخلق آدم بيده، ونحو

---

١) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في الفتوى الحموية (ص: ٣١).

٢) رسالة التّوحيد وبيان العقيدة السّلفية النّقية للشيخ ـ رحمه الله ـ (ص: ٢٧).

٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ (٣٠٩/٧).

٤) التّوحيد وبيان العقيدة السّلفية النّقية، الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ (باب الصفات).

قولـه: L N M L K J I H G FE D M [١] وسماعـه مـن غـيره، وسماع غيره منه، وغير ذلك من صفاته المذكورة في كتابه المنزل، وجميع ما لفظ به المصطفى من صفاته: كغرس جنة الفردوس بيده، وشجرة طوبى بيده، وخط التّوراة بيده، والضحك، والتّعجب، ووضعه القدم، وذكر الأصابع، والنّزول كل ليلة إلى السّماء الدنيا، وغيرته، وفرحه بتوبة العبد، وأنه ليس بأعور، وأن كلتا يديه يمين، وحديث القبضتين، وله كل يوم كذا وكذا نظرة في اللوح المحفوظ، وأنه يوم القيامة يحثو ثلاث حثيات من حثياته، فيدخلهم الجنة، وحديث القبضة الّتي يخرج بها من النّار قوماً لم يعملوا خيراً قط." [٢]

المطلب الثّاني: تقرير الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ لدلالات الأسماء والصفات عند أهل السّنة والجماعة.

قال ـ رحمه الله ـ: "مقتضى ما قاله الأصوليون في أسماء الله وصفاته: فمن صفات الله ـ جل جلاله ـ أنه الرحمن الرحيم، هذه صفة، ودلالة الرحمن على صفة العلم دلالة التّزام، وذلك إذا أثبت أن الله رحيم ـ جل جلاله ـ، وهو الرحمن، من لازمه أن يكون عالماً؛ إذ لا يمكن أن يرحم أحداً إلاّ بعد علمه به، فلا يرحم إنسانًا لا يعلم به، بل اللازم إثبات الرحمة له إثباتًا للعلم؛ لتعلقها بالعلم، هذا دلالة التّزام، ومثال آخر: لو قلت لي عندما اشتريت داراً مثلاً، قال لك إنسان: بعتك داري في حي دخنة مثلاً، أو في حي الخزان المحدود، كذا، وكذا بثمن قدره مئة ألف ريال، أي: تساوي مئة ألف ريال، فالعقد وقع على الحجر الذي فيه ... بالتّضمن، وعلى الجراح الذي فيه، وعلى الأبواب المركبة ...، لكن يشملها اسم الدار، وهذا دلالة تضمن، وما فيه من زجاج، وما فيه من البيارة التي في الشّارع. مثلاً قال البائع: ليست لك يا أيها المشتري؛ لا ذكرت في العقد، ولا حوتها جدران، أنا أريد أشق مطراق، وأفتح لي بيت جنبك، وأعمل مجرى على البيارة، نقول له: لا، فالعقد دل عليها دلالة التّزام. هذا لأن البلاعة بالخارج ليست وسط البيت، لكن لها اتصال وارتباط بالبيت، ووجود هذا المجرى هذا دلالة الالتّزام. يعني: تضمن الشّيء

١) سورة الملك (آية: ١٦).

٢) التّوحيد وبيان العقيدة السّلفية النّقية، مرجع سابق ،(باب الصفات).

هذا وزيادة خارج عن الموضوع بدلالة الالتّزام، ودلالة التّضمن هو ما حواه البيت مثلاً. كالرحمن هذا دلالة تضمن هذا الرحمن، فإنه ﷻ يرحم، ودلالة السّمع والبصر والعلم، دل عليه صفة الرحمن دلالة التّزام، ثم أيضاً الرحمة والعلم دلالة مطابقة على وجود ذات الله - ﷻ - فإنه لا ينكر وجود رحمة بدون ذات، ولا علم بدون ذات، ولا سمع ولا بصر بدون ذات، فمثله مثلاً: كلمة رحيم، مقصودها واضح، وهذا معنى دلالة الالتّزام ودلالة التّضمن."(١)

المطلب الثّالث: أنواع الدلالات ومعانيها عند الشّيخ - رحمه الله -:

يقول الشّيخ عبد الله بن حميد - رحمه الله -:

"كل اسم يدل على صفة لم يدل عليه الاسم الآخر إلاّبطريق الالتّزام أو طريق التّضمن، فنعم تدل عليه بطريق الالتّزام والتّضمن، وهذا هو مذهب أهل السّنة والجماعة، ومعنى طريق التّضمن أو الالتّزام يعني: أن نبينه، فمن أمثلته أنت إذا أثبت أن الله ﷻ رحيم، قلت: نعم، أنا قلت: هو رحيم، أو رحمن بدون ذات، ذات الرب ﷻ؟ فهل يمكن يوجد رحيم أو رحمن بدون ذات، يعني: منفك عن الذات؟ لا يمكن فالوجود لدلالة الرحمن، مع دلالة الذات، هذا يسمى دلالة التزام؛ لأنه لا وجود سمع بدون ذات، ولا بصر بدون ذات، ولا رحمن بدون ذات، ودلالة الرحمن الرحيم، والسّميع البصير على الذات دلالة التّزام، يعني: لا دلالة مطابقة، دلالة مطابقة يعني إذاً ... دلالة الصّفة المشتركة دلالة مطابقة، ودلالة تضمن أيضاً، ومعنى دلالة التّضمن، فالرحيم دل على أن الله عليم، فإذا أثبتنا لله - ﷻ - كل هذه، فذلك الرد على الجهمية، والرد على المعتزلة، فأنت إذا أثبتّ أن الله رحيم، دل على وجود الذات، وعلى وجود الرحمة دلالة مطابقة، ودل على وجود العلم - أن الله عالم - دلالة تضمن والتّزام؛ لأنه لا يمكن أن

---

١) من شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد - رحمه الله - ، باب: من الشّرك أن تستغيث بغير الله أو تدعو غيره، تحت الطباعة.

يكون رحيم إلاّ بعلم، هل يمكن أن ترحم شخصًا، وأنت لا تعرفه؛ من لازم رحمتك له، وعطفك عليه أنك تعرفه، أنك عالم به، هنا دلالة التّزام، [(١)].

المطلب الرَّابع: تقرير الشّيخ ـ رحمه الله ـ لقاعدة الإجمال والتّفصيل في الأسماء والصِّفات، وأمثلة لذلك:

الإجمال في أسماء الله ـ جل جلاله ـ وصفاته في مقام النّفي، والتّفصيل في مقام الإثبات، مما يقرره الشّيخ ـ رحمه الله ـ ، وهو ما عليه أهل السّنة والجماعة.

يقول ـ رحمه الله ـ: "إثبات مفصَّل ونفي مجمَل: ففي بعض الأسماء والصِّفات إذا كان الطريق طريق إثبات، فهو يأتي على طريق التّفصيل، وإن كان المقام مقام نفي، فهو يأتي على طريق الإجمال، وهذا معنى قولهم: والله ـ جل جلاله ـ بعث رسله بإثبات مفصل ـ يعني: في الأسماء والصِّفات ـ، ونفي مجمل، فالقرآن عندما تقرؤه، ويذكر النّفي، يذكره على سبيل الإجمال؛ مثل قوله سبحانه وتعالى: M 1 2 3 4 L [(١)]، هذا مجمل، M6 7 8 8 9 : ; L [(٢)]، ومثل قوله سبحانه وتعالى: M(* + , - . / 0 1 2 3 L [(٣)] هذا مجمل، ومثل قوله سبحانه وتعالى: M فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ L [(٤)]، أي: أمثالاً وأشباهاً ونظراء، هذا مجمل، ومثل قوله سبحانه وتعالى: M * + , - L [(٥)]، هذا مجمل، أما الإثبات فجاء على طريق التّفصيل؛ مثل قوله سبحانه وتعالى: M u v w x L [الفتح: ٦] M ¶ ¸ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ L [محمد: ٢٨] M وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ L [التوبة: ٤٦]، M رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً ´ L [غافر: ٧]

١) شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ، باب: من جحد شيئاً من الأسماء والصِّفات، تحت الطباعة.
٢) سورة النّحل (آية: ٧٤).
٣) سورة النّحل (آية: ٧٤).
٤) سورة الإخلاص (آية: ٣- ٤).
٥) سورة البقرة (آية: ٢٢)
٦) سورة مريم (آية: ٦٥).

M ! " # L [المجادلة: ١] إثبات السّمع Mإِنَّنِي مَعَكُمَآ ´ µ ¶ L: [سورة طه: ٤٦] إثبات السّمع والرؤية، ومثل قوله ﷻ: Mبَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ L [سورة المائدة: ٦٤]، إثبات اليدين، ومثل قوله ﷻ: M T U V W L [سورة الحج: ٧٥] فيه إثبات السّمع والبصر، ومثل قوله ﷻ: M ¸ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ L[٦].

إثبات الكلام، ومثل قوله ﷻ: M ! " # $ % L[١]، فناداهما ربهما، فاستجابا لنداء الله ـ ﷻ ـ إلى غير ذلك، فالله بعث رسله بإثبات مفصل، ونفي مجمل.

ومثل قوله ﷻ M 1 2 3 L[٢]، وهذا جاء مجملاً؛ فإن الله ليس له مثيل، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ثم جاءت الصّفات على طريق التّفصيل M 5 6 7 L {الشّورى: ١١}، **وكذلك قوله ﷺ** : **«اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**[٣] هذا مثل ما نبه عليه ﷺ: (**اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ**) فهذا يدل على أن الغضب يزيد وينقص؛ على حسب ما ارتكبه المجرم والمذنب؛ (**اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ**) فالله يغضب، ولكن قد يكون غضبه أشد من غضبه في ارتكاب ذنب آخر، بدليل قوله (**اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ**)، ومثله المحبة أيضاً؛ فإن الله ﷻ يحب، ولا يلزم نفي المحبة البغض، مثل قوله ﷻ: M M N O P Q S T U L[٤]، فقوله M S T U L أثنى الله عليهم، وأخبر بأنه يحبهم، وليس معناه أن يبغض غير المتطهرين، وذلك كما جاء في حديث ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ في معنى

---

١) سورة التّوبة (آية: ٦).
٢) سورة مريم (آية: ٥٢).
٣) سبق تخريجه ص ٢٣٤.
٤) أخرجه البخاري(١٤٩٦/٤ برقم ٣٨٤٥)، ومسلم(١٤١٧/٣ برقم١٧٩٣).
٥) سورة التّوبة (آية: ١٠٨).

تفسير هذه الآية **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ أَهْلَ قُبَاءَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يُثْنِي عَلَيْكُمْ. قَالُوا: إِنَّا نُتْبِعُ الْحِجَارَةَ الْمَاءَ** . فأنزل الله هذه الآية، إلى غير ذلك ... والله أعلم[٥] [٦] .

---

١) أخرجه أحمد (٣/٤٢٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود(٣٤)، وصحيح سنن ابن ماجة(٢٨٦)بلفظ نزلت هذه الآية في أهل قباء، كانوا يستنجون بالماء ، فنزلت هذه الآية.M M N O P

.L U T S Q

٢) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ، باب ما جاء في أن الغلو في قبور الصّالحين يصيرها أوثاناً ، تحت الطباعة.

المبحث الرابع

الأسماء والصِّفات الّتي تكلم عنها الشّيخ

بعد البحث والاستقراء وجدت كلاماً للشيخ ـ رحمه الله ـ في بعض الصّفات الواردة في كتاب الله ـ عز وجل ـ وهو يقرر ما سبق من قواعد أهل السّنة والجماعة في طريقتهم في إثبات الأسماء والصِّفات، فمن ذلك:

صفة الكلام :

الكلام لغةً يدل على نطق مفهم تقول: كلمته، أكلمه تكليماً وهو كليمي، إذا كلمك أو كلمته[١]. والكلام لا يكون إلا أصواتاً تامة مفيدة[٢]. ولفظ الكلام والقول مما تعلم حقيقته بداهة وضرورة ولا يمكن الجهل بتصورهما، والكلام إنما يطلق على ما تضمن لفظاً ومعنى، لا لفظاً مجرداً ،ولا معنى مجرداً [٣] .وإذا أريد به أحدهما فلابد من قرينة أو قيد يدل على ذلك[٤]. ولم يكن خلاف بين الناس في ذلك حتى ظهرت بدعة الكلام النفسي[٥].

(كلام الله): هو صفة من صفاته ـ عز وجل ـ ، والكلام أصله في اللغة ما سمع من الأقوال وتعدى قائله، وهذا مأخوذ من اشتقاق المادة أصلاً، مادة الكاف واللام والميم، فإن ـ كَلَمَ ـ هذه تدل على قوة وشدة في تصريفاتها وتفريعاتها في لغة العرب؛ كما حرر ذلك العلامة ابن جني في كتابه **«الخصائص»**[٦].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١٣١/٥).

(٢) لسان العرب (٥٢٣/١٢) .

(٣) مجموع الفتاوى (٤٥٦/١٢- ٤٥٧).

(٤) مجموع الفتاوى(٥٣٣/٦).

(٥) درء تعارض العقل والنقل (٨٣/٢).

(٦) قال ابن جني في «الخصائص» (١٣/١): « وأما "ك ل م" فحيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة، والمستعمل منها أصول خمسة وهي: "ك ل م" ،"ك م ل" ، "ل ك م" ،"م ك ل" ، "م ل ك" ، وأهملت منه "ل م ك" فلم تأت في ثبت.
فمن ذلك الأصل الأول " ك ل م " منه الكَلَم للجرح، وذلك للشدة التي فيه، وقالوا في قول الله سبحانه وتعالى :M \ ] ^ _ L قولين: أحدهما من الكَلام، والآخر من الكِلام، أي: تجرحهم وتأكلهم، وقالوا: الكُلام: ما غلظ من الأرض وذلك لشدته وقوته، وقالوا: رجل كليم أي: مجروح وجريح ...) أ.هـ.

إذا تبينت لك هذه التعاريف، فهذه الجمل بها تقرير أن القرآن:

§ كلام الله ﷻ.

§ وأنه منه بدأ.

§ وأنه وحي.

§ وأنه كلام بالحقيقة.

§ وأنه ليس بمخلوق.

وقد قرر الشيخ ابن حميد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ **"إثبات أن الله ـ ﷻ ـ يقول**: "قال الحق" والمراد أنه يتكلم خلافاً للأشاعرة، فالله ـ ﷻ ـ أخبر بأنه يتكلم، ويقول حقيقة، كما دل عليه القرآن، M I J K L L [1] M " # $ % & ') * + , L [2] M z { | } ~ L [3] M ¸ **أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ** L [4] M ´ µ ¶ ¸ **وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ** L [5]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

وقد أورد القرآن أيضاً وكذلك السّنة أن هناك من يتكلم بدون أن يكون له لسان وشفتين كما في قصة الحجر الَّذي يسلم على النّبي ﷺ وهو في مكة؛ كما في مسلم، فإنه قال: «**إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ**»[6]، فهل له لسان وشفتان؟

كذلك أيضاً أخبر الرب ﷻ في القرآن في قوله: M j k l m n o L [7]، والتّسبيح قول أيضاً، فهل له شفتان ولسان؟ ينقض حينئذ استدلاله أو تشبيهه".[8]

---

١) سورة النساء (آية: ١٦٤).
٢) سورة البقرة (آية: ٢٥٣).
٣) سورة الأنعام (آية: ١١٥).
٤) سورة التوبة (آية: ٦).
٥) سورة البقرة (آية: ٧٥).
٦) أخرجه مسلم (٤/١٧٨٢، برقم: ٢٢٧٧)
٧) سورة الإسراء (آية: ٤٤).
٨) شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ باب قول الله ـ تعالى ـ: "حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم"، تحت الطباعة.

صفة العلو والاستواء:

يقول الشيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ الكرسي في لغة: الشيء الذي يعتمد عليه ويجلس عليه، أو هو الشيء الذي قد ثبت ولزم بعضه بعضاً أو هو ما تعرفه العرب من كراسي الملوك[١].

ويعتقد أهل السنة أن الكرسي بين يدي العرش كالمرقاة له ،وأنه موضع القدمين، وقد رويت في ذلك آثار صحيحة من ذلك:

أثر ابن عباس " **الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله** "[٢]، وفي رواية أخرى: "**إن الكرسي الذي وسع السموات والأرض لموضع القدمين، ولا يعلم قدر العرش إلا الله** "[٣].

وقال السدي[٤]: " السموات والأرض في جوف الكرسي، والكرسي بين يدي العرش"[٥]. فالكرسي موجود حقيقة ،وليس هو الملك أو العلم [٦].

وإثبات صفة العلو لله تعالى، وكما أن له العلو؛ كما دلت الآية على إثبات العلو، فنقول: له علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات، فالله ـ عز وجل ـ أخبر بأن له علو الذات، وهو على عرشه، بائن من خلقه: ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ** ﴾[٧]، ﴿**وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ**

---

١) لسان العرب (١٩٤/٦).

٢) رواه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي ٣١٠/٢ ح(٣١١٦/ ٢٣٥)، والطبراني – ح(١٢٤٠٤) وقال عنه الهيثمي في المجمع ـ رجاله رجال الصحيح ـ (٣٢٣/٦)، وصححه الشيخ الألباني-رحمه الله- في مختصر العلو (ص١٠٢)، وفي تخريجه لشرح الطحاوية (٢٧٩/٢)، وانظر مجموع الفتاوى (٧٥/٥).

٣) انظر: مجموع الفتاوى(٥٥/٥).

٤) هو : أبو محمد، **إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة**، أحد موالي قريش. أحد أئمة التفسير من التابعين. قال إسماعيل ابن أبي خالد: كان السدي أعلم بالقرآن من الشعبي رحمهما الله. مات سنة ١٢٧ هـ.

٥) التاريخ الكبير(٣٦٠/١)، السير (٢٦٤/٥)، ميزان الاعتدال(٢٣٦/١)، الجرح والتعديل(١٨٤/٢-١٨٥)، تهذيب التهذيب (٣١٣/١- ٣١٤).

٦) أورده ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٧٩٠)، والسيوطي في الدر المنثور(١٨/٢).

٧) مجموع الفتاوى(٤٨٥/٦)، وانظر شرح العقيدة الطحاوية (٣٧١/٢).

٨) سورة النحل (آية: ٥٠).

وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ L [(١)] ، M ﴿ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ L [(٢)]، M D E
F G L [(٣)]،يعني: على السّماء M D EF G H I J K L M N
L [(٤)] ،إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، فأخبر القرآن بأن الله ـ ﷻ ـ على عرشه M Y
Z [\ L [(٥)]

الجهمية والمعطلون يقولون: استوى هنا بمعنى: استولى، ويستدلون ببيت مولد:

❖قد استوى بشر على العراق❖

بمعنى استولى بشر على العراق، والمراد عندهم استوى، يعني: M Y Z
[\ L ، M N O P Q S L [(٦)]، إلى غير ذلك، المراد عندهم استولى، قل له أنت: لا داعي إلى ذكر الأدلة؛ فالأدلة فاضحة، لكن أريد أن أقول لك وأخاصمك بما تقوله أنت، أتقول: استوى بمعنى استولى؟ قال لك: نعم. تقول: طيب، أنت عربي، و(استولى) لغة عربية، فما معنى لفظة استولى ؟ هل هناك من ينازع الرب على العرش، ليقاتله، ثم إن الرب استولى عليه؟ لأن هذا ما تفيده مادة استولى، كما قال: استولى فلان على البلد، استولى فلان على بيت فلان، استولى يعني لا يحصل الاستيلاء إلاّ بعد مقاهرة ومغالبة بينك وبين شخص آخر، ثم تتغلب عليه، فنقول: استولى فلان. فإذا فسرتم M Y Z [\ L بمعنى استولى، يعني: كأن هناك من يغالب الرب، ويقاهره على العرش، وينازعه، ثم استولى عليه، إذن يبطل قولك، لا يستطيع أن يقول: نعم، فأنت تحتج عليه، وتبطل كلامه من تفسيره هو، سواء بسواء، بدون أن تحتاج إلى أدلة، مع أن سلفنا الصّالح كلهم قالوا في الاستواء: نثبته كما أثبته

---

(١) سورة الأنعام (آية: ١٨).

(٢) سورة فاطر (آية: ١٠).

(٣) سورة الملك (آية: ١٦).

(٤) سورة الملك (آية: ١٦).

(٥) سورة طه (آية: ٥).

(٦) سورة الفرقان (آية: ٥٩).

القرآن: استواء يليق بجلاله، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، ولا نقول: استولى مثلاً، أو استوى كاستوائي على الأرض، أو استواء فلان على الكرسي، بل نقول: آمنا بالله ـ ﷻ ـ، وبما جاء عن الله ـ ﷻ ـ، على مراد الله ـ ﷻ ـ، وآمنا برسول الله — ﷺ —، وبما جاء عن رسول الله ﷺ، على مراد رسول الله — ﷺ —، ونتبري من الشّقاق، وهذه الإلزامات، وهذا الكلام الفاضي الّذي يقولون ويتكلمون به، ويؤيدون به أباطيلهم بدون أن يقيموا عليه دليلاً لا من كتاب ولا سنة، ولا عقل سليم.[1]

صفة الرضا :

ففيه صفة الرضا لله ـ ﷻ ـ، وأن الله ـ ﷻ ـ يرضى حقيقةً، وفي إثبات صفة السّخط، خلافاً للأشاعرة، ومن ظاهرهم.[2]

صفة الغضب: إثبات الغضب لله ﷻ أنه يغضب، ويسخط، ويمقت، كما دل عليه القرآن والسّنة، فنحن نثبت هذه الصّفات لله كما أثبتها لنفسه، إثباتاً بلا تحريف، وتنزيها بلا تعطيل على حد قوله: M 1 2 3 5 6 7 L[3]، والغضب يزيد وينقص على حسب ما ارتكبه المجرم والمذنب، (**اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ**) فالله ـ ﷻ ـ يغضب، ولكن قد يكون غضبه أشد من غضبه في ارتكاب ذنب آخر، بدليل قوله ﷺ (**اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ**)، ومثله المحبة أيضاً؛ فإن الله ﷻ يحب، ولا يلزم نفي المحبة البغض[4].

---

١) شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ باب: **حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم**، تحت الطباعة.

٢) شرح كتاب التّوحيد، باب ما جاء في قول الله ـ ﷻ ـ: **ولئن أذقناه منا رحمة من بعد ضراء مسته** .....، تحت الطباعة.

٣) سورة الشورى (آية : ١١).

٤) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ باب: ما جاء في أن الغلو في قبور الصّالحين يصيرها أوثاناً من دون الله، تحت الطباعة.

صفة الإرادة :

قوله : إذا أراد ، الإرادة تنقسم إلى قسمين كما في القرآن والسّنة : قال الله ﷻ : M ! " # $ % & ' (* + , - . / 0 1 2 3 4 5 L [١]، فالإرادة تنقسم إلى قسمين :

- إرادة كونية قدرية .
- وإرادة شرعية دينية .

فكل إرادة شرعية دينية مستلزمة للإرادة الكونية القدرية ، ولا عكس ؛ فالإرادة الكونية القدرية هي المذكورة في قوله ﷻ : M * + , - . / 0 1 L هذه هي الإرادة الكونية القدرية. والإرادة الشّرعية الدينية هي الّتي في أول الآية M ! " # $ % & ' (L M يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ © ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ L [٢] ، إلى غير ذلك مما دل عليه القرآن العزيز. فالإرادة الكونية القدرية هذه عامة ، هذه العامة في حق الكافر وغير الكافر ، أما الإرادة الشّرعية الدينية ، فهي خاصة بأهل الإيمان ، والفرق بينهما أن الإرادة الكونية القدرية تعني أن الله ــ ﷻ ــ أراد وقدر بأن هذا يكون ضالاً M d e f g h i j k l m L [٣] ، فهذا أراد الله ـ ﷻ ـ وقدر بأن يكون من أهل النّار ومن أهل الضلال ، والآخر أراد الله ــ ﷻ ــ الإرادة الشّرعية الدينية بأن يكون من أهل التّقى والخير ومن المصدقين للنّبي ﷺ [٤].

ويقول أيضاً : الإرادة قسمان : إرادة شرعية دينية ، وإرادة كونية قدرية. وكلا النّوعين جاء بهما القرآن ؛ قال ﷻ : M ! " # $ % & ' (L ، وهذه هي الإرادة الشّرعية الدينية ، هو أن الله ـ ﷻ ـ يبين لك طريق الخير ، وأعطاك عقلاً تميز به ما يضرك وما

---

١) سورة الأنعام (آية : ١٢٥).

٢) سورة البقرة (آية : ١٨٥).

٣) سورة الأنعام (آية : ٣٩).

٤) شرح كتاب التّوحيد ، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ باب : **حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم**.

ينفعك، لكنه أعانك على فعل الخير. أما الإرادة الكونية القدرية، فهو أبان لك الطريق، وأن هذا شر، وأن هذا يضرك، ولكن أنت الَّذي ارتكبته برغبتك، ومحبتك، وميولك، واختيارك، فصار الجرم عليك، إلاّ أن الله ـ عز وجل ـ لم يعنك على ارتكابه، بل تركك وشأنك بما أعطاك الله ـ عز وجل ـ من العقل، وما أنار لك من أن سلوك هذا الطريق يضرك، ولا ينفعك، فهذا هو معنى ما ذهب إليه أهل السّنة والجماعة في هذا الباب، والله أعلم." [1]

إثبات صفة المحبة :

"وفيه دليل على أن الله ــ عز وجل ــ يحب، ومحبته ــ عز وجل ــ ليست كمحبة المخلوقين؛ فالأشاعرة [2] وغيرهم يقولون: إذا أثبتم أن الله ـ عز وجل ـ يحب، من لازم إثباته أنه يحب، أن يكون له جسم، ويكون أيضاً مشابهاً لخلقه ــ عز وجل ــ، إذًا المحبة إذا أطلقت، تنصرف إلى ميل المحب قلبياً إلى المحبوب، فيكون حينئذ قد شبَّه الله ـ عز وجل ـ بخلقه، فتقول لهم أنت: لا يلزمني هذا، فأنا أثبت لله ـ عز وجل ـ أنه يحب، كما أثبته لنفسه، ولا يلزم من هذا أن محبته ــ عز وجل ــ كمحبة المخلوقين أبداً [3].

"فيه إثبات الصّفات لله ــ تعالى ــ، خلافاً للأشاعرة الَّذين يؤولون المحبة بمعنى الإنعام أو الإفادة، أو ما شابه ذلك، فالله ــ عز وجل ــ أثبت أنه يحب، قال ــ تعالى ــ: M | { ~ ٱلۡمُحۡسِنِينَ L [4] M [\ ] ^ L [5] M s t u v L [6]، وفي هذا الحديث:

---

١) مذكرة فتاوى ومحاضرات الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ، تحت الطباعة.

٢) هم: أتباع أبي الحسن الأشعري الذي هم على مذهبه بعد رجوعه عن الاعتزال وقبل أن يرجع إلى معتقد السلف، وهم لا يثبتون من الصفات إلا سبعاً، ويؤولون بقية الصفات، ويصرفونها عن ظاهرها بتأويلات عقلية، وينفون عن الله علو الذات، ويقولون الإيمان هو التصديق، ولهم خلافات أخرى، وهم مع ذلك يوافقون أهل السنة في غالب أصول الاعتقاد. انظر: من كتبهم الإرشاد للجويني، والمحصل للرازي، والمواقف للإيجي، و الملل والنحل ١/٨١.

٣) شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ باب: الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله، تحت الطباعة.

٤) سورة البقرة (آية: ١٩٥).

٥) سورة الممتحنة (آية: ٨).

٦) سورة التوبة (آية: ٤).

«**يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**»[١]، إلى غير ذلك، وهذه المحبة وغيرها من الصّفات يثبتها أهل السّنة والجماعة لله ـ ﷻ ـ إثباتاً بلا تمثيل ولا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل على أصل قوله ـ ﷻ ـ: M 1 2 3 5 6 7 L[٢] M S T U L[٣] فيـه إثبـات صفة المحبة لله ـ ﷻ ـ، خلافاً للأشاعرة الّذين ينكرون إثبات المحبة لله، ويقولون: إن المحبة هي في الرضا أو الإثابة، يعني: معنى M S T U L بمعنى: يثيب المطهرين، ويعطيهم الأجور، ولكن أهل السّنة والجماعة يثبتون لله ما أثبته لنفسه إثباتاً يليق بجلاله حقيقة على حد قوله، M 1 2 3 5 6 7 L إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل، لا نحرف، ولا نكيف، لا نمثل لا نشبه. بل نقول: يليق بجلاله. وهكذا يقول أهل السّنة في باب أسماء الله وصفاته: نثبتها كما أثبتها لنفسه، وننزهه عن مشابهة خلقه، ولا نكيف، ولا نقول في المحبة: كيف السّمع؟ كيف البصر؟ نقول: ليس كمثله شيء. ولا نعطل، لا نقول: لا ينبغي أن ينزه الله عن هذا. ننزهه عن شيء أثبته لنفسه هذا غلط، مادام أن الله ـ ﷻ ـ أثبته لنفسه، وأخبر أنه يحب المطهرين، ويحب التّوابين، ويحب المحسنين، ويحب المتقين، فكيف ننفي هذا؟ ولا ننكر أن من نتائج إثبات المحبة الإثابة، لكن لا نفسرها بالإثابة، نقول: من نتائجها؛ كما أن الرحمة نثبتها له، وإن كان من ثمرتها الإنعام، لكن لا نفسر الرحمة بالإنعام، وإن قلنا إنه من نتائجها ومن ثمراتها، فهذا غير صحيح

أما أن نفسر الرحمة بأنها الإنعام، وننفي لله الرحمة، فهذا لا . ..)[٤].

صفة النّزول: روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»[١]

---

١) أخرجه البخاري (١٠٩٦/٣ برقم ٣٤٩٨) .

٢) سورة الشورى (آية : ١١).

٣) سورة التوبة (آية : ١٠٨).

٤) شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ باب: لا يذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله .

وفي لفظ: (ينزل الله)، ولا يصح حمله على نزول القدرة، ولا الرحمة، ولا نزول ملك؛ لما روى مسلم بإسناده عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَنَا الْمَلِكُ. مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِى يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلاَ يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ»[٢]

وروى رفاعة بن عروبة الجهني أن رسول الله – ﷺ – قال: «إِذَا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثُ اللَّيْلِ يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: لاَ أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَداً غَيْرِي مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرُ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ. مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ. حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ»[٣] وهذه الأحاديث تقطع تأويل كل متأول، ويدحضان حجة كل مبطل، وروى حديث النّزول علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وجبير بن مطعم، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدري، وعمرو بن عبسة، وأبو الدرداء، وعثمان بن أبي العاص، ومعاذ بن جبل، } ، وأم سلمة ـ زوج النّبي ـ ﷺ > .

ويقرر الشّيخ ـ رحمه الله ـ نزول الرب ﷻ إلى السّماء الدنيا، حيث ورد إليه هذا السؤال: أنا طالب أدرس في أوروبا، وكثيرًا ما يسألوننا عن نزول الرب في آخر كل ليلة في كل البقاع، ويسألوننا: هل النّزول يتكرر في كل ليلة أم ماذا؟

الجواب: في حديث: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[٤] وقلت إن الليل يختلف باختلاف البلدان، فيكون هنا ثلث الليل في الحجاز مثلاً، وفي البلاد الأخرى نهار، أو أول الليل، فكيف النّزول هل يتعدد أولاً؟ نقول لك

---

١) سبق تخريجه (ص٢٥٢).

٢) أخرجه مسلم (١/٥٢٢ برقم ٧٥٨).

٣) أخرجه مسلم (١/٥٢٢ برقم ٧٥٨).

٤) أخرجه البخاري (١/ ٣٨٤ برقم ١٠٩٤) و مسلم (١/٥٢١ برقم ٧٥٨).

هذه المسألة بحثها الشّيخ ابن تيمية في كتاب (شرح حديث النّزول)، وتكلم في هذا البحث بعينه، وتكلم أيضاً على مسألة أخرى تتعلق به، وهي مسألة الرب إذا نزل، هل يخلو العرش منه أو لا يخلو؟ فكيف نزوله؟ هل إذا نزل خلا العرش منه؟ أم نقول: هذه الأمور مشتبهة. ونسكت، ونثبت أنه ينزل، ونثبت أن الله ـ ﷻ ـ على عرشه، بائن من خلقه كما في قوله ﷻ: M Y Z [\ L[١]، فهذه المسألة أدلك عليها في شرح حديث النّزول، لشيخ الإسلام ابن تيمية، راجعه فإنه تكلم عن المسألتين، وذكر أقوال العلماء، ولا سيما مسألة تعدد واختلاف الليل في كثير من البلدان، وبسطها، ولها ذيول، والبحث فيها طويل، ولا نستطيع أن نكمله في مثل هذه السّاعات القليلة[٢].

صفة الفوقية:

كما أن أهل السّنة والجماعة يعتقدون أن الله ـ ﷻ ـ فوق سماواته، بائن من خلقه، قال الله ﷻ: M ¸ **يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ** L[٣].

M3 4 5 6 7 8 9 : L[٤].M f g h i L[٥].M D E F

G H I J K L M N L[٦]. وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ: أن النّبي ﷺ قال: «**أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»[٧]، وفي حديث معاوية بن الحكم السّلمي ﷺ: أن النّبي ﷺ قال للجارية: «**أَيْنَ اللَّهُ؟». قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟». قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»[٨]. ومنكر أن يكون الله ـ ﷻ

---

١) سورة طه (آية: ٥).

٢) مذكرة دروس وفتاوى الشّيخ عبد الله ـ رحمه الله ـ ، تحت الطباعة.

٣) سورة فاطر (آية: ١٠).

٤) سورة آل عمران (آية: ٥٥).

٥) سورة النساء (آية: ١٥٨).

٦) سورة الملك (آية: ١٦).

٧) أخرجه مسلم (٧٤٢/٢ برقم ١٠٦٤).

٨) أخرجه مسلم (٣٨١/١، برقم٥٣٧).

ـ في جهة العلو بعد هذه الآيات والأحاديث، مخالف لكتاب الله، ومنكر لسنة رسول الله ﷺ.

قال مالك بن أنس: "**الله في السّماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان.**"[١]

، وقال عبد الله بن المبارك: "**نعرف ربنا فوق سبع سمواته على العرش بائناً من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية: إنه ها هنا وأشار إلى الأرض**"، وقال سفيان الثوري: "**وهو معكم أينما كنتم قال علمه**" قال الشافعي" **إنه على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء**"، قال أحمد: **إنه مستو على العرش عالم بكل مكان وإنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء وإنه يأتي يوم القيامة كيف شاء**".[٢]

صفة اليدين:

ومن صفاته ـ سبحانه ـ الواردة في كتابه العزيز، والثّابتة عن الرسول ﷺ اليدان، قال الله ـ ﷻ ـ: M**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** L[٢]، وقال ﷻ: M**مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا** ´ µ L[٣]، فلا نقول: يَدٌ كَيَدٍ، ولا نكيف، ولا نشبه، ولا نتأول اليدين على القدرتين ـ كما يقول أهل التّأويل ـ، بل نؤمن بذلك، ونثبت الصّفة من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا يصح حمل اليدين على القدرتين؛ فإن قدرة الله ﷻ واحدة، ولا على النّعمتين، فإن نعم الله ﷻ لا تحصى، كما قال ﷻ: M < = > ? @ A L[٤].

صفة الوجه: ومن الصّفات الّتي نطق بها القرآن، وصحت بها الأخبار: الوجه. قال ﷻ: M T U V W X Y L[٥]، وقال: M f g h i j l L[٦]، وفي حديث أبي موسى قال: **قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ**: « **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ**

---

١) انظر: مجموع الفتاوى (ج٤، ص١٨١).

٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٨١، برقم٥٣٧).

٣) سورة المائدة، (آية: ٦٤).

٤) سورة ص (آية: ٧٥).

٥) سورة النحل (آية: ١٨).

٦) سورة الرحمن (آية: ٢٧).

٧) سورة القصص (آية: ١٨).

لاَ يَنَامُ، وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ،يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ- وَفِي رِوَايَةِ أَبِى بَكْرٍ: النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » ثم قرأ: M i j k l m n o L[1][2]

فهذه صفة ثابتة بنص الكتاب، وخبر الصّادق الأمين، فيجب الإقرار بها والتّسليم؛ كسائرالصِّفات الثّابتة بواضح الدلالات .

---

١) سورة النمل(آية : ٨).

٢) أخرجه مسلم (١٦١/١ برقم: ١٧٩).

الفصل الخامس

نواقض الإسلام

وفيه تمهيد، وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الكفر.

المبحث الثَّاني: النفاق.

المبحث الثَّالث: الشّرك.

تمهيد :

تكلم العلماء على نواقض الإسلام، وأكثروا من الكلام عليها؛ وذلك لأهميتها، فالفقهاء يعقدون باباً يسمى باب الردة، وهو باب مهم من أبواب الحدود، وأهل العقائد يسمون هذا الباب بالنَّواقض، ويضمون له شروطاً وحدوداً، وهو متعلق بمسائل التّكفير وما يترتب عليها، فمن ارتكب ناقضاً من تلك النَّواقض، فقد خرج من الملة، فلا يبقى إسلام مع وجود أحد تلك النَّواقض؛ فهي تحبط الطاعات، وإن الله ـ ﷻ ـ لا يغفر لمن مات عليها، وصاحبها خالد مخلد في النار؛ كما قال ﷻ: M إِنَّ ٱلَّذِينَ ´ µ ¶ ¸ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ L [1]

وهناك آيات كثيرة في هذا المضمار، ولما كان هذا الفصل من أهم الفصول في أمر العقائد الّتي يترتب عليها الجزاء في الآخرة، نجد كلام العلماء ـ سلفاً وخلفاً ـ يصب في معنى واحد، علماً وعملاً، ونصحاً للأمة الإسلامية؛ حتى لا تقع فيما يُبطل إسلامها أفراداً وجماعات، كما وقع بعض الجهلة في تكفير المسلمين، وجعلوا المجتمعات المسلمة ديار كفر؛ جهلاً وضلالاً، فالنَّواقض وتبيينها إنّما يقوم على الأدلة الصّريحة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وقضية تكفير المعين تتولد من هذه المسألة فيما إذا ارتكب أحد هذه النَّواقض، فأهل السّنة لا يكفرون أحداً إلا إذا ارتكب ناقضاً من النَّواقض، وهم أعدل أهل الإسلام، وأكثرهم علماً.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في هذه المسألة :

"اعلم أن مسائل التّكفير والتفسيق هي من مسائل الأسماء والأحكام الّتي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة، وتتعلق بها الموالاة، والمعاداة، والقتل، والعصمة، وغير ذلك في الدار الدنيا، فإن الله ـ ﷻ ـ أوجب الجنة للمؤمنين، وحرم الجنة على الكافرين، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان." [2]

١) سورة آل عمران (الآية: ٩١)

٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/٤٦٨).

وفي هذه الأزمنة المتأخرة زاد الجهل، وكثر تقليد الكفرة في كل ما يتعلق بشؤون حياتهم عملية أو تعبدية، وما ذلك إلا لعمق الجهل الَّذي ضرب كثيراً من المجتمعات المسلمة؛ فلذا يجب على المسلم أن يتعرف على معالم وتعاليم دينه، وما الَّذي قد يخرجه من هذا الدين.

وقد بين شيخ الإسلام ـ ابن تيمية ـ هذه المسألة بقوله ـ رحمه الله ـ:

"ولهذا قال عمر بن الخطاب ﷺ: **(إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية)** [١]، وهو كما قال عمر ﷺ، فإن كمال الإسلام هو بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتمام ذلك بالجهاد في سبيل الله." [٢]

ويبين الشّيخ عبد الله ابن الشّيخ محمد بن عبد الوهاب[٣] أهمية هذا الموضوع قائلاً:

"اعلم أن هذه المسائل من أهم ما ينبغي للمؤمن الاعتناء بها؛ لئلا يقع في شيء منها، وهو لا يشعر، وليتبين له الإسلام والكفر، حتى يتبين له الخطأ والصواب، ويكون على بصيرة في دين الله، و لا يغتر بأهل الجهل و الارتياب، وإن كانوا هم الأكثرين عدداً، فهم الأقلون عند الله، وعند رسول قدراً." [٤]

فواقع بعض بلاد المسلمين، والناظر إليها يجد أن هذه النَّواقض قد زادت، يشاهد ويسمع أنماطاً من النَّواقض: سحر، ودجل، وشعوذة، أمم تعظم الأموات، وتدعوهم من دون الله، استحلال للكفريات، وتسميتها بأسماء محببة للنفوس؛ ترويجاً لها، وتضليلاً للناس، وهذا من أعظم الاعتداء على شرع الله ـ ﷻ ـ، ومن أحب الطرق

---

١) انظر: الفوائد، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م، الطبعة: الثانية (ص: ٢٠١ وما بعدها).

٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/٣٠١).

٣) هو: من كبار علماء نجد، ولد في الدرعية (١١٦٥هـ)، وبرز في عدة علوم له رسائل مفيدة، عرف بالشجاعة، وأبناؤه علماء، توفي في مصر حين نُقل إليها سنة ١٢٤٢ هـ، انظر مشاهير علماء نجد (ص: ٤٨)، وعلماء نجد (١/٤٨).

٤) الدرر السّنية في الأجوبة النّجدية (٨/١١٨).

لعدو الإسلام الأول إبليس. فبمعرفة الحق يُعرف الباطل، ولا يجنِي المسلم على المسلم بتكفيره أو تفسيقه، أو وصفه بصفات الردة.

يقول النبي ﷺ: «وَمَنْ دَعَا رَجُلاً بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ عَدُوَّ اللَّهِ. وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِلاَّ حَارَ[(١)] عَلَيْهِ»[(٢)]

يقول ابن دقيق العيد[(٣)] في بيان معنى الحديث:

"وهذا وعيد عظيم لمن أكفر أحداً من المسلمين، وليس كذلك، وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين، ومن المنسوبين إلى السّنة، وأهل الحديث، لما اختلفوا في العقائد، فغلطوا على مخالفيهم، وحكموا بكفرهم." [(٤)]

ويؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية ذلك بقوله:

"إني من أعظم النَّاس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير، و تفسيق، ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية الّتي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمَّة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الجذرية، والمسائل العلمية."[(٥)]

فلما كان هذا الأمر من الخطورة بمكان عقدت هذا الفصل؛ حتى يتبين موقف الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في هذا الباب.

---

١) حَارَ: رجع، مختار الصّحاح (ص: ١٦١)، ولسان العرب (٤/٢١٧).

٢) أخرجه مسلم (١/٧٩ برقم: ٦١).

٣) هو: محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري القوصي، ولد سنة: ٦٢٥ هـ، من كبار الشّافعية، له مؤلفات نافعة، مات سنة (٧٠٢ هـ). انظر البّداية والنهاية (١٤/٢٨).

٤) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (٤/٧٦).

٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/٢٢٩).

معنى النَّواقض لغة و اصطلاحاً.

المعنى اللغوي للنَّواقض: مفردها ناقض، والنَّاقض في اللغة:

النَّقض: إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء، فهو بمعنى نكث الشّيء، وانتثار العقد، والنَّقض ضد الإبرام، ونقيضك: الَّذي يخالفك [(١)].

وفي المصباح المنير:

"ونقضت الحبل نقضاً. حللت برمه، ومنه ما يقال: نقضت ما أبرمه إذا أبطلته، وانتقض هو بنفسه، و انتقضت الطهارة: بطلت. وانتقض الجرح بعد برئه، والأمر بعد التّئامه: فسد، وفي كلامه تناقض إذا كان بعضه يقتضي إبطال بعض." [(٢)]

وفي التّعريفات:

"نقيض كل شيء: رفع تلك القضية، فإذا قلنا: كل إنسان حيوان بالضرورة، فنقيضها: أنه ليس كذلك." [(٣)]

وقد جاءت كلمة نقض في مواضع من القرآن، منها قوله ﷻ: M v w x y z { | L [(٤)]، وقال ﷻ: M 3 4 5 6 7 8 9 L [(٥)]، ومرت هذه الكلمة في سورة النحل في موضعين، وأما في السّنة كقوله ﷺ: لعائشة } : «يَا عَائِشَةُ، لَوْلاَ قَوْمُكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ - قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: بِكُفْرٍ - لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ» [(٦)]

المعنى الاصطلاحي:

مما سبق من المعاني اللغوية ــ ومن سياق النصوص ــ يمكن تعريف الناقض على حسب ما نحن فيه من الكلام عن نواقض الإسلام:

---

١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٤٧٠- ٤٧١)، وانظر لسان العرب لابن منظور (١٤/ ٣٣٩)، وتاج العروس للزبيدي (٥/٩٣).

٢) المصباح المنير، للفيومي (ص: ٧٦٢).

٣) التّعريفات للجرجاني (ص: ٣١٥).

٥) سورة البقرة (آية : ٢٧).

٥) سورة الرعد (آية : ٢٠).

٦) أخرجه البّخاري (١/ ٥٩ برقم: ١٢٦) ومسلم (٢/٩٦٨ برقم : ١٣٣٣).

"هي: اعتقادات، أو أقوال، أو أفعال، تزيل الإيمان، وتقطعه، فالإيمان قائم على الاعتقاد، و الاعتقاد لزوم، وتأكد، واستيثاق، فالنَّواقض تقابل الاعتقادات، ويذكر الفقهاء في أبواب مفسدات الطهارة، أو نواقض الطهارة، أو مبطلات الطهارة، وفي كتب الحدود يذكرون الردة، وأسباب الردة، وهي النواقض القولية، أو العقدية، أو الفعلية"

وفي رأي الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ أن نواقض الإسلام كثيرة، تنحصر في عدد معين. **يظهر ذلك فيما أجاب الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ على سؤال حول النَّواقض، حيث قال:**

"نواقض الإسلام كثيرة، فقد ألف الشّيخ محمد بن عبد الوهاب رسالة سماها: (نواقض الإسلام)، وهي مطبوعة، وذكر فيها الأمور الّتي ينتقض بها إسلام العبد، وأن ما تحصل به الردة كثير، وألف العلماء كل في مذهب؛ في كتب الحنفية، والشافعية، والمالكية، والحنابلة، باب: حكم المرتد، فقالوا: باب حكم المرتد، وهو الَّذي يكفر بعد إسلامه، فإنه مرتد عن دين الله، إذا جحد ربوبيته، أو وحدانيته، أو صفة من صفاته. والحاصل أن من أشرك بالله بأن جحد ربوبيته، أو وحدانيته، أو صفة من صفاته، ... إلى غير ذلك مما يكفر به، فإن ذلك يكون مرتداً، وللمسألة تفاصيل وبحوث طويلة في كتب العلماء، تزيد على أربع مئة باعتبار فروعها، ومفردات مسائلها، والله أعلم." [1]

وبهذا فهو يقرر ما عليه سلف هذه الأمَّة في الماضي والحاضر في عدم حصر النَّواقض.

ويقول أيضا :

"نواقض الإسلام كثيرة، لكن منها ما يصل إلى النَّقض، ومنها ما هو بدع قادحة في توحيد العبد، نهى عنها النبي ﷺ خشية التّدرج إلى الوصول إلى الغاية الّتي هي الشّرك."[2]

ثم ذكر الشّيخ ـ رحمه الله ـ بعض نواقض الإسلام ، فقال:

١) فتاوى سماحة الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ (ص: ١٥).

٢) نواقض الإسلام. تسجيل بصوت الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ من تفريغ البّاحثة.

"من فضَّل طريقة الكفار، وصحح مذهبهم، وقال: هم أحسن من المسلمين، وإن مذهبهم أصح مذهب، ومعاملتهم أصدق معاملة، فهذا كفر ....."

وقال أيضاً:

"إذا فضل طريقة الكفار - القوانين الوضعية - على كلام الله - عز وجل - ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ، هذا هو الظلم، وهو الكفر بعينه."

وقال أيضاً - رحمه الله -:

"ومن النَّواقض: الإعراض عما جاء في الكتاب والسنة، وعدم الالتفات إليه."

وقال - رحمه الله -:

"ومن نواقض الإسلام محبة الكفار، والميل إليهم، ومساعدتهم على المسلمين."

وقال - رحمه الله -: "ومن نواقض الإسلام أن الإنسان يعتقد أنه خرج عن مدلول القرآن والسنة، وأن الله أباح له ما لم يبحه للرسول صلى الله عليه وسلم، ولا لهذه الأمَّة؛ لأنه بسبب ولايته ارتفع عن هذا كله." (1)

---

١) نواقض الإسلام. تسجيل بصوت الشّيخ عبد الله بن حميد - رحمه الله - من تفريغ البّاحثة.

المبحث الأول

الكفر:

وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول: تعريف الكفر لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثَّاني: أقسام الكفر وأمثلة عليه.

المطلب الثَّالث: الفرق بين تكفير المطلق، وتكفير المعين.

المطلب الرابع: الكفر درجات، وإثبات زيادته ونقصانه .

المطلب الخامس: مسألة العذر بالجهل.

المطلب الأول: تعريف الكفر لغةً واصطلاحاً :

أولاً: تعريف الكفر في اللغة :

الكفر في اللغة: تغطية الشّيء تغطية تستهلكه [١]، ووصف الليل بالكافر؛ لستره الأشخاص، والزراع بالكفار لسترهم البذرة في الأرض [٢].

يقول ابن فارس :

كفر: الكاف، والفاء، والراء. أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو السّتر والتغطية، يقال لمن غطى درعه بثوب: قد كفر درعه، والكفر ضد الإيمان؛ لأنه تغطية الحق [٣].

ويقول القرطبي ـ رحمه الله ـ: "وأصل الكفر في كلام العرب: السّتر والتغطية، ومنه قول الشّاعر: في ليلة كفر النجوم غمامها . أي: سترها .
والكافر أيضاً: البحر، والنهر العظيم، والكافر: الزارع، والجمع كُفَّار، قال الله سبحانه وتعالى: M F G H I J L [٤]، يعني الزراع؛ لأنهم يغطون الحب، ورماد مكفور: سَفَّت الريح عليه التّراب، والكافر من الأرض: ما بعد عن النَّاس، لا يكاد ينزله أحد، ولا يمر به أحد." [٥]

يقول ابن الجوزي:

ذكر أهل التّفسير أن الكفر في القرآن على خمسة أوجه :

أحدها: الكفر بالتوحيد، ومنه قوله سبحانه وتعالى: M ! " # $ % & ' ( ) ' (* + L [٦].

---

١) لسان العرب لابن منظور (١٣/ ٨٥) .

٢) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (ص: ٤٣٥) .

٣) معجم مقاييس اللغة (٥/ ١٩١).

٤) سورة الحديد (آية : ٢٠) .

٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٢٣٠).

٦) سورة البقرة (آية : ٦) .

الثاني: كفران النعمة، ومنه قوله ﷻ: M**وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ** L[(١)].

الثالث: التّبرؤ، ومنه قوله ﷻ: M D E F G H I L[(٢)]أي: يتبرأ بعضكم من بعض.

الرابع: الجحود، ومنه قوله ﷻ: M 1 2 3 4 5 6 L[(٣)].

الخامس: التّغطية، ومنه قوله ﷻM H I J L[(٤)] { يريد الزراع الّذين يغطون الحب." [(٥)]

ثانياً: تعريفه في الاصطلاح:

وللكفر عدة تعاريف في الاصطلاح:

"الكفر عدم الإيمان، باتفاق المسلمين، سواء اعتقد نقيضه، وتكلم به، أولم يعتقد شيئاً، ولم يتكلم به." [(٦)]

ويعرف ابن حزم [(٧)] الكفر بعبارة جامعة فيقول عن الكفر:

"وهو في الدين: صفة من جحد شيئاً مما افترض الله ـ ﷻ ـ والإيمان به بعد قيام الحجة ببلوغ الحق إليه بقلبه دون لسانه، أو بلسانه دون قلبه، أو بهما معاً، أو عمل عملاً جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان." [(٨)]

ويعرف الشّيخ عبد الرحمن بن ناصر السّعدي[(٩)] الكفر قائلاً:

---

١) سورة البقرة (آية: ١٥٢).

٢) سورة العنكبوت (الآية: ٢٥)

٣) سورة البقرة (الآية: ٨٩)

٤) سورة الحديد (الآية: ٢٠)

٥) نزهة الأعين النّواظر في علم الوجوه والنظائر. لابن الجوزي (١١٩/٢- ١٢٠).

٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨٦/٢٠).

٧) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، ولد ٣٨٤ هـ في قرطبة، صاحب التّصانيف والمناظرات، لا يرى القياس، إمام الظاهرية في زمانه. مات ٤٦٥هـ. البّداية والنهاية (٩٨/١٢).

٨) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم الظاهري (٤٩/١).

٩) هو: عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي التّميمي، من كبار علماء نجد المعاصرين، ولد بعنيزة ١٣٠٧ هـ، له مؤلفات كثيرة، واشتغل بالتدريس، توفي بعنيزة ١٣٧٦ هـ، علماء نجد (٤٢٢/٢).

وحد الكفر الجامع لجميع أجناسه، وأنواعه، وأفراده، هو: جحد ما جاء به الرسول ﷺ، أو جحد بعضه، كما أن الإيمان: اعتقاد ما جاء به الرسول ﷺ والتزامه جملة وتفصيلاً. فالإيمان والكفر ضدان، متى ثبت أحدهما ثبوتًا كاملاً، انتفى الآخر[١] .

المطلب الثَّاني: أقسام الكفر وأمثلة عليه:

ينقسم الكفر كما هو معلوم إلى قسمين:

١) كفر أكبر. ٢) كفر أصغر.

أقسام الكفر الأكبر:

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في هذا الموضوع:

"فأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التّصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق."

ثم قال ـ رحمه الله ـ:

فأما كفر التّكذيب: فهو اعتقاد كذب الرسل.

وأما كفر الإباء و الاستكبار: فنحو كفر إبليس.

وأما الإعراض: بأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ، لا يصدقه، ولا يكذبه.

وأما الشّك: فإنه لا يجزم بصدقه، ولا بكذبه، بل يشك في أمره.

وأما كفر النفاق: فهو أن يظهر بلسانه الإيمان، وينطوي بقلبه الكذب، فهذا النفاق الأكبر." [٢]

ويذكر الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ أنواعاً من الكفر:

"العلماء في كل مذهب كلهم عقدوا باباً في كتبهم بالإجماع أن من سب الله، فهو كافر، ومن شتم الدين، فهو مرتد، ومن زعم أن لله صاحبة فهو مرتد، ومن انتقص الرسول ـ ﷺ ـ فهو مرتد، ولو شهد أن لا إله إلا الله، وجاء بكل ما جاء." [٣]

---

١) الإرشاد إلى معرفة الأحكام (ص: ٢٠٣- ٢٠٤).

٢) مدارج السّالكين لابن القيم الجوزية (٣٦٦/١٢- ٣٦٧) بتصرف.

٣) شرح كشف الشّبهات، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ (ص: ١٢٩).

أمثلة على أقسام الكفر :

السحر :

جمهور العلماء يقولون: إن متعاطي السّحر كافر حلال الدم والمال، كما في قوله ﷻ: M ! " # $ % & ' (* + , -
. / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 : ; < =
> ? @ A B C D L لاحظ قوله: M C D L، M F G H
I J K L M L[1]، قالوا هذا يدل على أنه كافر[2].

وقد سئل الشيخ عبد الله بن حميد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عن معنى الكرامة، وهل هو مقصور على أن يبر الله عبده بالدعاء،أم هناك أمور خارقة لمألوف البشر كطي الأرض لعبد الصالح؛ لانتقاله من مكان إلى مكان آخر، وكيف نفرق بينها وبين ما يسمى بالشعوذة ؟ فقال ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ :"تقول ما معنى الكرامة وما الفرق بينها وبين الشعوذة الكرامة تجري للأولياء في إمكانه أن يمشي على البحر فهذا من الكرامة وكذلك تطوى له الأرض هذا من الكرامة، كما وقع من بعض الصحابة فإن منهم من خاض البحر بخيوله ومشى حتى جعل الله لهم البحر كأنها أرض هذه كله كرامة بخلاف الشعوذة فالكرامة لا ضابط لها يعني تأتي على غير مألوف البشر شيء من الخوارق خوارق العادات مثل طيران مثل تطوى له الأرض مهل مشي على سطح البحر وما أشبه ذلك وقول ما الفرق بينها ولين الشعوذة وكيف تميز بين هذا وذاك، عندنا ميزان ما هو الميزان ؟ عندنا ميزان يميز بين الحق والباطل الكرامة إذا كان الرجل من أهل التقى والصلاح مؤتمر بأوامر الشريعة يصلي ويصوم ويعمل بكل ما أمر الرسول ﷺ وينتهي عن كل ما نهى عنه الرسول ﷺ ثم رأيناه يمشي على البحر نعم قلنا هذه كرامة، أو طويت له الأرض قلنا هذه كرامة أو طار قلنا هذا كرامة أما إذا رأيته لا يبالي بصلاة أو يرتكب محرم أو يترك واجب قلنا هذه شعوذة بواسطة

---

١) سورة البقرة ، (آية :١٠٢).

٢) شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ ، باب: ما جاء في السّحر، تحت الطباعة.

الشياطين فهذه إعانة من الشياطين له لأجل إضلاله هذا الفرق بين كرامات الأولياء وبين مخرفة الشياطين[١].

اتخاذ الوسائط :

يقول الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في بيان أن اتخاذ الوسائط كفر:

"الإنسان متى جعل بينه وبين الله واسطة ـ ملكاً مقرباً كان، أو نبياً مرسلاً ـ صار كافرًا، لا يجوز لأحد أن يسأل إلا الله ـ عز وجل ـ، ولا يطلب المدد إلا منه، لما دل عليه القرآن." [٢]

ويقول أيضا:

"البعض من مشركي العرب جعل الملائكة وسائط بينه وبين الله ـ عز وجل ـ ، والبعض منهم جعل الشّمس والقمر وسائط بينه وبين الله ـ عز وجل ـ ، والبعض منهم جعل الأشجار والأحجار وسائط بينهم وبين الله ـ عز وجل ـ ، قائلين: إنها مطيعة لله، ليست عاصية، وهؤلاء كلهم كفرهم القرآن، وقاتلهم الرسول ﷺ ."[٣]

نسبة النعم لغير الله كفر بالرّبوبية :

يقول الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ "أما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي، مؤمن بالكوكب، ولا يجوز لك أن تضيف النعم إلى غير الله، بل النعم كلها لله، ولكن من زعم أن الكوكب هو الّذي أنزل المطر، هذا بلا شك أنه كفر بالرّبوبية، باتفاق المسلمين." [٤]

---

(١) فتاوى محاضرات، لفضيلة الشيخ العلامة : عبدالله بن حميد – رحمه الله - ، إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة، ص٢٦.

(٢) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ باب من هزل بشيء فيه ذكر الله، أو القرآن، أو الرّسول ﷺ (تحت الطباعة).

(٣) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ باب: تفسير التّوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله(تحت الطباعة).

٤) شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ ، باب: ما جاء في الاستسقاء بالأنواء (تحت الطباعة).

أنواع الطواغيت :

يقول الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ الطاغوت من الطغيان، وهو مجاوزة الحد في كل شيء، والطاغوت مطلقاً: هو الشّيطان لعنه الله. ويطلق على السّاحر، والكاهن يسمى طاغوتاً ، ومن الطواغيت:

١) من خرج عن طاعة الله ـ عز وجل ـ يسمى طاغوتًا.

٢) الحاكم الَّذي يحكم بغير ما أنزل الله ـ عز وجل ـ يسمى طاغوتاً.

٣) الذي يأمر باتباعه في غير طاعة الله ـ عز وجل ـ يسمى طاغوتًا.[1]

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في تعريفه : " كل ما تجاوز به العبد حده ـ من معبود، أو متبوع، أو مطاع ـ فهو طاغوت، والمراد بالطاغوت: هو ما عبد من دون الله من الأصنام، والأوثان، والقبور، وغير ذلك، كلها طواغيت." [1]

ترك الصّلاة كفر :

فالكفر ـ والعياذ بالله ـ هي عقوبة، وأكبر عقوبة لمن ترك الصّلاة، ولم يصل، فإنه يقتل كفراً على قول بعض أهل العلم، فإذا قتل كفراً، لا يغسل، ولا يكفن، ولا يصلى عليه، ولا يدفن مع المسلمين في مقابرهم، ولا يرثه أقاربه من المسلمين [2] .

ويرى الشّيخ ـ رحمه الله ـ أن الزكاة لا يصح دفعها لتارك الصّلاة؛ لأنه كافر، قال في جواب على سؤال دفع الزكاة لتارك الصّلاة:

نقول لك: لا ، الزكاة لا يجوز دفعها إلا لمسلم، وهذا الَّذي لا يصلي ليس بمسلم، فإن الرسول ﷺ يقول: «**بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ**»[3]، فلو دفعت الزكاة لأناس لا يصلون، ولو تسمُّوا بأنهم مجاهدون، فإنها لا تجزئ [4].

---

١) شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ ، البّاب الأول من كتاب التّوحيد(تحت الطباعة).. .

٢) فتاوى نور على الدرب، بصوت الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ، من تفريغ البّاحثة .

٣) أخرجه التّرمذي في سننه(١٣/٥ برقم: ٢٦٢٠)، وابن ماجة (٣٤٢/١ برقم١٠٧٨) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٦٧/٦ برقم٣٠٣٩٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي(٢١١٢).

٤) فتاوى نور على الدرب، بصوت الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ، من تفريغ البّاحثة .

المطلب الثَّالث: الفرق بين تكفير المطلق، وتكفير المعين:

من أصول أهل السنة والجماعة ، أنهم فرقوا بين التكفير المطلق، وبين التكفير المعين، أو ما بين تكفير المطلق من الناس دون تحديد، وما بين تكفير المعين، فأهل السنة والجماعة أصلهم أنهم يكفرون من كفره الله ـ ﷻ ـ ، وكفره رسوله ﷺ من الطوائف، أو من الأفراد، فيكفرون اليهود، ويكفرون النصارى، ويكفرون المجوس، ويكفرون أهل الأوثان.

ومن أصولهم التفريق ما بين الحكم على المعين وما بين القول المطلق، وهذا الأصل دلت عليه أدلة من فعل أئمة السلف ومن أقوالهم، فإن الإمام الشافعي مثلاً حكم على قول حفص الفرد لما ناقشه بأنه كُفْر، ولم يحكم عليه بالردة[(١)]؛ وكذلك من حكموا على من قال بخلق القرآن، أو أن الله لا يُرى في الآخرة بأنه كافر، لم يطبقوه في حق المعين؛ لهذا، الإمام أحمد لما قال بتكفير من قال بخلق القرآن[(٢)]، لم يكفر على وجه التعيين أمير المؤمنين في زمانه، الذي دعا إلى ذلك، بل أمراء المؤمنين الثلاثة: المأمون، ثم المعتصم، ثم الواثق، حتى جاء عهد المتوكل[(٣)]، فاستدل منه أئمة الإسلام ـ كما يقول شيخ

(١) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة(٢/٢٥٢) عن الربيع بن سليمان قال: أخبرني من أثق به وكنت حاضراً في المسجد فقال حفص الفرد: القرآن مخلوق. فقال الشافعي: كفرت بالله العظيم. وفيه أيضاً(٢/٢٥٣): قال الربيع بن سليمان أتيت الشافعي يوماً فوافقت حفص الفرد خارجاً من عنده فقال: كاد الشافعي أن يضرب عنقي.
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى(١٢/٥٠٦): بل اشتهر عن أئمة السلف تكفير من قال القرآن مخلوق وأنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل كما ذكروا ذلك عن مالك بن أنس وغيره ولذلك قال الشافعي لحفص الفرد ....» وذكر القصة.

وقال في موضع آخر(٢٣/٣٤٩): وكذلك الشافعي لما قال لحفص الفرد حين قال القرآن مخلوق كفرت بالله العظيم بين له أن هذا القول كفر ولم يحكم بردة حفص بمجرد ذلك لأنه لم يتبين له الحجة التي يكفر بها ولو اعتقد أنه مرتد لسعى في قتله وقد صرح في كتبه بقبول شهادة أهل الأهواء والصلاة خلفهم. اهـ. وانظر: درء التعارض(٤/٥).
(٢) انظر: العقيدة للإمام أحمد (ص٧٩).
(٣) انظر: ملخص محنة الإمام أحمد في البداية والنهاية(١٠/٣٣١ ـ ٣٣٥).

الإسلام ابن تيمية : أن إطلاق الكفر لا يستلزم تكفير المعين[١]، ووجه ذلك ما ذكرته قبل من أن التعيين يحتاج إلى أمور ؛ لأنه إخراج من الدين، والإخراج من الدين له شروطه وله موانعه[٢].

وبين الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ أن التكفير لا يكون إلا بدليل فيقول : "ولا يكفر أحد من المسلمين بذنب إلا من كفره الكتاب والسنة، و لا يشهد لأحد بجنة ولا نار إلا لمن شهد له رسول الله ﷺ، غير أنه يرجو للمحسن، ويخاف للمسيء."[٣]

ولا شك أن الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ يقرر ما ذهب إليه الشّيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ، ويؤيد ما يقوله، وهو ما عليه الأئمة المهديون سلفاً وخلفاً.

أما عن الأسباب الّتي يكفر بها المسلم، فيذكر الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ بعضاً منها، فيقول:

"العلماء في كل مذهب من المذاهب من أتباع الأئمة الأربعة ألفوا في كتبهم باب حكم المرتد، وهو الّذي يكفر بعد إسلامه، فمسوغات الكفر وأسباب الكفر كثيرة، فمن زعم أن لله ولداً فهو كافر، ومن عبد الملائكة فهو كافر، ومن جحد أسماء الله وصفاته الّتي أثبتها لنفسه في القرآن فهو كافر، ومن قال بأن الزنا حلال، فهو كافر، ومن قال أيضاً إن الخبز أو التّمر حرام ـ لأن حلَّه مُجمَع عليه ـ فهو أيضاً كافر مرتد، فكل إنسان جحد تحريم أمر مجمع على تحريمه بأن قال: هو حلال، فهو مرتد، أو زعم أن هذا حرام ـ وهو مجمع على إباحته ـ فهو مرتد، إلى غير ذلك...، فأنواع الردة والكفر كثيرة، فلا تقتصر على من زعم أن لله ولداً، بل من زعم أن لله ولداً، وأن الملائكة بنات الله، أو أنهم شفعاء عند الله، أو الأنبياء شفعاء عند الله، أو اتخذهم وسطاء بينه وبين الله، أو جحد أسماء الله وصفاته. فأنواع الكفر وأسباب الردة كثيرة جداً، عقد

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى(١٢/٤٨٧)و (٣٥/٩٩)، والفتاوى الكبرى(٣/٤٧٤).

(٢) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى(١٢/٥٠١): فليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين، وإن أخطأ وغلط، حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة.ا.هـ.

٣) رسالة الشّيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته .

لها العلماء في كل مذهب باباً في كتبهم، قالوا: باب حكم المرتد، وهو المسلم الَّذي يكفر بعد إسلامه،

ثم ذكروا أنواعاً كثيرة، كلها موجبة للردة، والله أعلم." [١]

المطلب الرابع: الكفر درجات، وهو يزيد وينقص.

ويقسم الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ الكفر إلى درجات، فيقول:

الكفر شعب، وبعض النَّاس أشد كفراً من الآخر؛ مثل ما دل عليه القرآن M**ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ** © L[٢]، لكن إذا كان مثلاً يميل إلى الإسلام، وهو أسهل، وإن قلنا بكفره، لكن أسهل ممن ينكر نبوة النبي ﷺ، ويكذب أهل القرآن، أو ينكر وجود الرب نهائياً، ويكون هذا كافراً لوجود سبب اقتضى كفراً، لا شك الكفر درجات، كما أن الإيمان درجات [٣].

ويقرر الشّيخ مبدأ الزيادة والنقصان في الكفر، ويستدل بآيات من القرآن، فيقول:

"كما أن الكفر يزيد وينقص معلوم: M - . / 0 1 2 3 4 6 7 8 9 : ; L[٤]، M**ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ** © L[٥]، إلى غير ذلك كما هو معروف." [٦]

ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية هذه المسألة بقوله:

واعلم أن الكفر بعضه أغلظ من بعض، فالكافر المكذب أعظم جرماً من الكافر غير المكذب، فإنه جمع بين ترك الإيمان المأمور به، وبين التّكذيب المنهي عنه، ومن كفر، وكذب، وحارب الله ـ عز وجل ـ ورسوله — ﷺ — والمؤمنين بيده ولسانه، أعظم جرماً ممن

---

١) شرح كشف الشّبهات للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ (ص ٧٤).

٢) سورة آل عمران (آية : ٩٠).

٣) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ، باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوها.

٤) سورة فاطر (آية : ٣٩).

٥) سورة آل عمران (آية : ٩٠).

٦) تسجيل الموالاة والمعاداة في الله، بصوت الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ من تفريغ البّاحثة.

اقتصر على مجرد الكفر والتكذيب، ومن كفر ،وقتل، وزنا، وسرق، وصد، وحارب، كان أعظم جرماً [(١)].

المطلب الخامس: مسألة العذر بالجهل :

يطلق مصطلح الجهل، ويُراد منه عند أهل الاصطلاح: عدم العلم، أو عدم اتباعه[(٢)].

وأنواعه:

الأول : جهل بسيط ، وهو خلو النفس من العلم.

الثاني : جهل مركب ، وهواعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

الثالث : فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل[(٣)].

ولا خلاف بين أهل العلم ابتداءً في مسألة العذر بالجهل، لكنهم اختلفوا في طبيعة الجهل الذي يُعذر صاحبه، وفي طبيعة المسائل التي يُعذر فيها الانسان بالجهل.

وهناك صور متفق عليها بين أهل العلم يُعذر صاحبها بالجهل، منها:

١. من كان حديث عهد بإسلام.
٢. من كان في شاهق أو بادية، ولم يتمكن من معرفة العلم الشرعي.
٣. من كان في دار حرب ، ولم يتيسر له العلم الشرعي.

فهؤلاء يعذرون بجهلهم بتفاصيل الشرع، أو بتفاصيل ما يكون به المرء مسلماً، إلا أن يتمكنوا من طلب العلم الشرعي، وتحصيله، ثم يكون منهم التفريط والتقصير، فإنهم لا يُعذرون حينئذ.

و لكنهم لا يُعذرون في العلم الاجمالي (الجملي) ، كالعلم بوجوب توحيد الله، أو البعث والمعاد، أو نبوة محمد ـ ﷺ ـ ، ومع ذلك فإنهم قد يُعذرون في الجهل ببعض التفاصيل المتعلقة بذلك.

---

١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ (٢٠/٨٧).

٢) اقتضاء الصراط المستقيم ، ابن تيمية، (١/٢٢٤).

٣) مفردات الراغب ص (١١٥)، اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية(١/٢٢٤- ٢٢٥).

وقد اختلف العلماء سلفاً وخلفاً ـ ومنهم أئمة الدعوة ـ في تعيين بعض المسائل التي يُعذر صاحبهابالجهل بها. وتباينت عباراتهم في هذه المسألة، بل يرى البعض أنه ليس هناك خلاف بينهم في الحقيقة ، ويرى أن المسألة لا تنضبط بضابط دقيق، بل تكتنفها أحوال معينة، وقرائن كثيرة لابد من اعتبارها قبل الحكم على الجاهل بأنه يُعذر، أو لا يُعذر.

ومن العلماء الذين نُقلت عنهم عبارات تشير إلى عدم العذر بالجهل في بعض التفاصيل الشّيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ فالظاهر أنه كان لا يعذر بالجهل بتفاصيل الشرك ووسائله، **يقول** ـ رحمه الله ـ :

إن الشّرك ووسائله لا يعذر أحد بالجهل بها؛ إذ عليه أن يسأل ويفهم؛ لأن المسلمين متفقون على أنها لا تجوز، وأن القرآن والسنة دل على المنع من ذلك، وليس هذا من باب الفروع الَّذي يختلف فيه العلماء، ويكون المجتهد فيه إما مصيبًا، فله أجران، وإما مخطئًا، فله أجر واحد، أما هنا فلا؛ فهذه عقيدة لا يعذر أحد بتركها؛ لأنه يتعلق بغير نصر الله تعالى، ويظن أن هذا جائز، ولو قال: إني أعتقد أن النافع والضار هو الله، مادام أنه اتخذ من وسائل الشّرك وذرائعه، فهو لا يعذر، وإن زعم أن النافع الضار هو الله." [1]

وهذه فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية في عدم العذر بالجهل.

برقم ٩٢٥٧وتاريخ ٢٢/١٢/ ١٤٠٥هـ.

السؤال: هل كل من أتى بعمل من أعمال الكفر أو الشرك يكفر، علماً بأنه أتى بهذا الشيء جاهلاً هل يعذر بجهله أم لا يعذر؟ وما هي الأدلة بالعذر أو عدم العذر؟

الجواب :

لا يعذر المكلف بعبادته غير الله أو تقربه بالذبائح لغير الله، أو نذره لغيره، ونحوه ذلك من العبادات التي هي من اختصاص الله، إلا إذا كان في بلاد غير إسلامية، ولم تبلغه الدعوة فيعذر لعدم البلاغ لا مجرد الجهل لما رواه مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال " **والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ولم**

---

١) شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ ، باب: من الشّرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البّلاء أو دفعه.

يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار "[1] . فلم يعذر النبي ـ ﷺ ـ من سمع من يعيش في بلاد إسلامية قد سمع بالرسول ـ ﷺ ـ. فلا يعذر في أصول الإيمان بجهله .

أما الذين طلبوا من النبي ـ ﷺ ـ أن يجعل لهم ذات أنواط يعلقون بها أسلحتهم فهؤلاء كانوا حديثي عهد بكفر، وقد طلبوا فقط ولم يفعلوا، فكان ما حصل منهم مخالفا للشرع، وقد أجابهم النبي ـ ﷺ ـ بما يدل على أنهم لو فعلوا ما طلبوا كفروا .

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

عضو : عبد الله بن قعود .

عضو : عبد الله بن غديان .

نائب رئيس اللجنة : عبد الرزاق عفيفي .

الرئيس : عبد العزيز بن عبد الله بن باز .

---

١) أخرجه مسلم (١/ ١٣٤ برقم ١٥٣).

المبحث الثَّاني

النفاق

وفيه تمهيد، وثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف النفاق لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثَّاني: أقسام النفاق.

المطلب الثَّالث: أقوال الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في النفاق.

المبحث الثَّاني

النفاق

تمهيد :

ذكر الله ـ ﷻ ـ المنافقين في ثلاث عشرة آية في سورة البقرة ، ذمَّهم فيها غاية الذم ، بينما ذكر المؤمنين في أربع آيات ، والكفار في آيتين ، حينها كشف عورات هؤلاء المنافقين ؛ لأن بلية المسلم بهم أعظم من بليته بالكفار المجاهرين ؛ ولهذا قال ـ ﷻ ـ في حقهم : M هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ L[1] ، ومثل هذا اللفظ يقتضي الحصر ، أي لا عدو إلا هم ، ولكن لم يرد ها هنا حصر العداوة فيهم وأنهم لا عدو للمسلمين سواهم ، بل هذا إثبات الأولوية والأحقية لهم في هذا الوصف ، وأنه لا يتوهم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهراً وموالاتهم لهم ومخالطتهم إياهم ، أنهم ليسوا بأعدائهم ، بل هم أحق بالعداوة ممن باينهم في الدار ، ونصب لهم العداوة ، وجاهرهم بها ؛ فإن ضرر هؤلاء المخالطين لهم ، المعاشرين لهم — وهم في الباطن على خلاف دينهم — أشدُّ عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة ، وألزمُ وأدومُ ؛ لأن الحرب مع أولئك ساعة ، أو أياماً ،ثم تنقضي ، ويعقبه النصر والظفر. وهؤلاء معهم في الديار والمنازل صباحاً ومساءً ، يدلون العدوَّ على عوراتهم ، ويتربصون بهم الدوائر ، ولا يمكنهم مناجزتهم ، فهم أجدَرُ بالعداوة من المباين المجاهر ..)[2].

المطلب الأول: تعريف النفاق لغةً واصطلاحاً :

النفاق في اللغة : قال ابن فارس ـ رحمه الله ـ:

نفق: النون والفاء والقاف أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدُهما على انقطاعِ شيءٍ وذَهابه، والآخر على إخفاءِ شيءٍ وإغماضِه.

ثم قال: والأصل الآخر النَّفق :

---

(١) سورة المنافقون (من الآية : ٤).

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم (ص٤١٣) .

سَرَبٌ في الأرض له مَخْلَصٌ إلى مكان. والنَّافقاء: موضِعٌ يرقِّقه اليَربوعُ من جُحْرِه، فإذا أُتِيَ من قِبَل القاصعاء ضَرَب النَّافقاءَ برأسه فانتفَقَ، أي: خرج. ومنه اشتقاق النِّفاق؛ لأن صاحبَه يكتُم خلافَ ما يُظهِر، فكأن الإيمان يَخرُج منه، أو يخرج هو من الإيمانِ في خفاء.(١)

النفاق في الاصطلاح: قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: سمي المنافق منافقاً لإظهاره غير ما يضمر، تشبيهاً باليربوع (٢).

وغيره يقول: النفاق، وهو الدخول في الشّرع من باب، والخروج عنه من باب (٣).

المطلب الثَّاني: أقسام النِّفاق:

من خلال تتبعي لآثار الشّيخ ـ رحمه الله ـ وجدته يذكر النفاق، ويجعله قسمين:

قال ـ رحمه الله ـ:

أما الكفار، والمشركون، والمنافقون النفاق الأكبر، فهؤلاء مآلهم النار خالدين مخلدين، لا يدخلون الجنة أبداً ... (٤).

ويتبين لنا تقسيم الشّيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ للنفاق بأنه قسمان:

نفاق أكبر، نفاق أصغر.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: النفاق نوعان: أكبر، وأصغر.

النفاق الأكبر: يوجب الخلود في النار في دركها الأسفل، وهو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله، مكذب به(٥).

النفاق الأصغر: وهو الذي سماه العلماء بنفاق العمل، وهو معصية لا يخرج صاحبها من الملة.

---

١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٤٥٤ – ٤٥٥).

٢) الجامع لأحكام القرآن (١/٢٤٢).

٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٠٤).

٤) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ، أول باب في كتاب التّوحيد، تحت الطباعة.

٥) مدارج السّالكين (٣/٣٧٦).

ومن أدلته من الأثر ما أورده البخاري عن ابن أبي مليكة [(١)].قال: « **أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ـ ﷺ ـ كلهم يخاف النفاق على نفسه ؛ ما منهم أحدٌ يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل**. قال: ويُذكر عن الحسن قوله في النفاق: ما خافه إلا مؤمن، ولا أمِنهُ إلا منافق» [(٢)].

قال الحافظ ابن حجر ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: والصحابة الذين أدركهم ابن أبي مليكة من أجَلِّهم عائشة وأختها أسماء، وأم سلمة ـ رضي الله عنهن، والعبادلة الأربعة، وأبو هريرة، وعقبة بن الحارث، والمسور بن مخرمة ـ } ـ، فهؤلاء سمع منهم، وقد أدرك بالسن جماعة أجَلّ من هؤلاء ؛ كعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص ـ { ـ ، وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال، ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك فكأنه إجماع ؛ وذلك لأن المؤمن قد يعرضُ عليه في عمله ما يشوبه مما يخالف الإخلاص، ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم، بل ذلك على سبيل المبالغة منهم في الورع والتقوى – رضي الله عنهم أجمعين – .

المطلب الثَّالث: أقوال الشّيخ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في النفاق:

يقول الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ "المنافقون ليسوا مؤمنين: M ` a b

c d e f g i j k l m n o p q L [(٣)]،

M < = > ? @ B C D F G H I J L M

O P L [(٤)]، M z { | } ~ يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ

ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ L [(٥)]، M c d e f g h i j k l

١) عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مُلَيكة القرشي التيمي، أبو بكر المكيّ، متفق على توثيقه وفضله وفقهه، روى له الجماعة، مات سنة سبع عشرة ومائة(٣١٦).

٢) فتح الباري لابن حجر (١/١٠٩) .

٣) سورة المنافقون (آية : ١).

٤) سورة التوبة (آية : ١٠١).

٥) سورة التوبة (آية : ٩٨).

m n L (١).M K L M N O L (٢)، ومنهم من يقول: ...، إلى غير ذلك، ومنهم الَّذين يؤذون النبي ﷺ. هؤلاء كلهم منافقون، إن هؤلاء ليسوا بمؤمنين (٣).

أما المنافق الَّذي يظهر الحق والإيمان، ويبطن الكفر، فهذا لم يرض بحكم رسول الله ﷺ، وأن كل من دعا إلى غير الكتاب والسنة، أو رضي التّحاكم إلى غيرهما، فإنه منافق، وينبغي أن هذا مصيره إن أمكن(٤).

وأما بخصوص أثر الرياء على العمل، فإن الرياء المحض يبطل العمل عند الشّيخ ـ رحمه الله ـ، وهذا ما كان عليه سلف هذه الأمة:

يقول الشيخ ـ رحمه الله ـ: "لو قصدت بعملك ثناء النَّاس ومدحهم، ثم هذا يختلف إن كان عملك هذا ابتداء لأجلهم، فالعمل باطل، صليت أو تصدقت من أجل أن النَّاس يثنون عليك، ويمدحونك، فهذا عمله باطل، لا يقبله الله ـ عز وجل ـ باتفاق المسلمين" .(٥)

ويقول ـ رحمه الله ـ:

"عملك لو قصدت به وجه الله ابتداءً، لكن وقر في قلبك شيء من محبة الثناء، أي: ليقال: إنه سخي. فهذا ينقص الأجر والثواب بقدر ما وقر في قلبك، ولا يبطل العمل بطلاناً نهائياً، ويفوتك على حسب ما استرسل معك .فإن دفعته حالاً، فهذا لا يضر"(٦) .

---

١) سورة التوبة (آية : ٧٥).

٢) سورة التوبة (آية : ٥٨).

٣) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ باب: الخوف من الشّرك .

٤) شرح كتاب التّوحيد للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ، باب: **ألم تر إلى الَّذين يزعمون أنهم أمنوا بما أنزل إليك ...** .

٥) شريط الدعاء عند قبر النّبي ﷺ، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ من تفريغ الباحثة .

٦) المصدر السابق.

المبحث الثالث

الشّرك

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الشّرك لغةً واصطلاحاً، ومفهومه ووسائله

المطلب الثَّاني: أول شرك وقع في الأرض.

المطلب الثَّالث: أقسام الشّرك.

المطلب الرابع: الشّرك الأكبر. ضابطه، ونماذج له.

المطلب الخامس: الشّرك الأصغر. ضابطه، ونماذج له

المطلب السّادس: سد الذرائع المؤدية إلى الشّرك.

المبحث الثالث

الشّرك

المطلب الأول: تعريف الشّرك لغةً واصطلاحاً:

أولاً في اللغة: الشّين والراء والكاف أصلان، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر يدل على امتداد واستقامة.

والشّركة، وهو أن يكون الشّيء بين اثنين، لا ينفرد به أحدهما، يقال: شاركت فلاناً في الشّيء، إذا صرت شريكه [١].

تقول (شركته في الأمر أشركه)، إذا صرت له شريكاً. يقال اشتركنا بمعنى تشاركنا، وجمع الشريك شركاء وأشراك، وأشركته في الأمر والمبيع: جعلته لك شريكاً. وغالباً تستعمل كلمة الشرك بالتخفيف، يقال (شرك وشركه) كما يقال كلم وكلمة على التخفيف. وطريق مشترك بالفتح بمعنى مشترك فيه، ومنه (الأجير المشترك) وهو الذي لا يخص أحداً بعمله، بل يعمل لكل من يقصده بالعمل، كالخياط في مقاعد الأسواق[٢].

والشرك بمعنى النصيب ومنه قولهم (لو أعتق شركا له في عبد) أي نصيبا – والجمع أشرك مثل قسم وأقسام [٣].

وقيل ألزم شرك الطريق، أي اتساع الطريق أو أخاديد الطريق والمعنى واحد، وهي ما حفرت الدواب بقوائمها في متن الطريق. والشرك: بفتحتين، حبالة الصائد، أي ما ينصب للطير[٤].

فالشرك بمعنى الشريك والنصيب – من الشيء يكون لواحد وباقية لآخر أو آخرين فهنا يكون الشريك مخالطاً لشريكه، وحصته منضمة لنصيب الآخر. وإذا كان بمعنى اتساع الطريق، فإن أرجل السائرين وأقدام الدواب تختلط آثارها هنالك وينضم بعضها إلى بعض، وإذا كان بمعنى حبالة الصائد، فإن ما يقع فيها من الحيوان الذي يكون ملك الصائد[٥].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٢٦٥/٣).

(٢) المصباح المنير، الفيومي، (٣٣٣/١).

(٣) نفس المرجع السابق.

(٤) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري، (١٠/١٧- ١٨).

(٥) رسالة الشرك ومظاهره، مبارك الميلي، (٥٨).

ثانياً: في الاصطلاح : الشرك: هو اتخاذ شريك لله ـ ﷻ ـ في ألوهيته[1]. قال ـ ﷻ ـ: M r s t u v w x y z { | } ~ **وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا** L[2].

قال الأزهري[3]: "وإنما دخلت الباء في قوله ـ ﷻ ـ: M < = > ? L[4]؛ لأن معناه لا تعدل به غيره فتجعله شريكاً له؛ لأن الله واحد لا شريك له، ولا ند، ولا نديد".

ومدلول كلمة الشرك: هو إشراك ما دون الله مع الله في الألوهية والربوبية، كما يمكن أن يفهم من معنى الكلمة. وهذا المدلول يسوغ القول أن كلمة الشرك "لا تعني نوعاً محدداً من العقائد المنحرفة، وإنما هي كلمة عامة يمكن أن ينطوي فيها عقائد متنوعة يجمع بينها ضابط عام، وهو إشراك ما دون الله مع الله، سواء أكان هذا الدون وثنا، أم ملكاً، أم شيطاناً ،أم قوة من قوى الطبيعة، وسواء أكان ذلك الإشراك في الألوهية أم الربوبية [5].

ولعل هذا التعريف الأخير، هو أقرب إلى تحديد معنى الشرك من التعريف السابق؛ لأن التعريف من شروطه أن يكون جامعاً مانعاً، والتعريف الأول اقتصر على نوع معين من الشرك، وهو الشرك في الألوهية، والشرك قد يكون في الألوهية والربوبية معا[6].

وقد أفاض علماء السّنة في الكلام على الشّرك، وضوابط الشّرك، وكلٌ أدلى بدلوه في هذا الباب، يتبعون ما دلت عليه النصوص في ضبطه وأنواعه، وما هو مخرج من الملة المحمدية، أو منقص للاتباع، مؤثم صاحبه، حتى يموت، أو يتوب إلى الله .

---

(١) من مخطوط فتح المجيد بكناية المريد، جمع عبدالسلام المالكي .

(٢) سورة النساء (آية : ٤٨) .

(٣) تهذيب اللغة (١٦/١٠- ١٧)، والأزهري: هو محمد بن أحمد الأزهري، أحد أئمة اللغة والأدب، ولد سنة (٢٨٢) في خراسان، اشتهر بالفقه أولاً ثم غلب عليه التبحر في العربية، وكانت وفاته سنة ٢٧٠هـ. (انظر: الأعلام، للزركلي ٢٠٢/٦).

(٤) سورة لقمان، (آية: ١٣).

(٥) عصر النبي وبيئته قبل البعثة، دروزة، (ص ٣٢١).

(٦) الشرك (مظاهره وآثاره)، إعداد: فايز سعيد عزام، ١٣٩٩هـ، (ص١- ٢).

والشرك ـ كما أسلفنا ـ هو اتخاذ الشريك. واتخاذ الشريك قد يكون على جهة التنديد الأعظم، وقد يكون على جهة التنديد الأصغر، فحقيقة الشرك أن يُتخذ النّدّ مع الله ـ جل وعلا ـ واتخاذ الند مع الله قسمان[1]:

الأول: اتخاذ للند فيما يستحقه الله ـ جل وعلا ـ على العبد من توحيده بالعبادة، وهذا التنديد هو الشرك الأكبر، كما جاء في حديث ابن مسعود حين سأله أي الذنب أعظم؟ قال ـ ﷺ ـ «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»[2]، وكما قال ﷻ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، ونحو ذلك.

الثاني: أن يجعل للمخلوق شيئاً من الندية، ولكن لا تصل إلى صرف العبادة لغير الله، وهذا من جهة التعلق ببعض الأسباب التي لم يأذن الله ـ جل وعلا ـ بها، أو تعظيم بعض الأشياء تعظيماً لا يوصل إلى ما يناسب مقام الربوبية مثل الحلف بغير الله، ومثل قول: لولا الله وفلان وأشباه ذلك.

فإذاً الشرك هو التنديد[3]، وهو اتخاذ الشريك مع الله جل وعلا، والتنديد قسمان:

الأول: تنديد أعظم، وهو أن يجعل ما هو محض حق الله ـ جل وعلا ـ للمخلوق.

الثاني: تنديد أصغر: وهو أن يجعل للمخلوق شيئا مماً يجب أن يكون لله، لكن لا يبلغ أن يصل إلى درجة الشرك الأكبر.

ولهذا اختلف العلماء في تعريف الشرك الأصغر، وفي ضابط الشرك الأصغر ما هو، فمنهم من قال: الشرك الأصغر هو ما دون الشرك الأكبر مما لم يوصف في النصوص بأنه مخرج من الملة، أو أنه فيه صرف العبادة لغير الله جل جلاله. وقال آخرون: الشرك الأصغر هو كل وسيلة إلى الشرك الأكبر.

---

(١) قال ابن القيم في مدارج السالكين (١ / ٣٣٩ ـ ٣٤٤) ط. دار الكتاب العربي: (الشرك نوعان: أكبر وأصغر، فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ... وأما الشرك الأصغر فهو كيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله ...) ا.هـ.

(٢) سبق تخريجه في ص ١٨٤.

(٣) انظر: لسان العرب (٣ / ٤٢٠)، ومختار الصحاح (ص٢٧٢).

والثاني ينضبط في أشياء، ولا ينضبط في أشياء أخر.

فمدار ضابط الشرك الأصغر على أشياء ورد النص بتسميتها شركاً، أو أن حقيقتها تشريك ولا تبلغ التنديد الأعظم في صرف العبادة لغير الله جل جلاله، فقوله ﷻ: r M s t u v w x y z { | } ~ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا L[1]، ظاهر في التحذير والتخويف من الشرك؛ لأن الشرك لا يغفر، وأما الذنوب فهي على رجاء الغفران؛ كما قال هنا ﷻ: M y z { | } ~ L، وكما قال ﷻ: M t u v w x y z { | } ~ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ © الرَّحِيمُ L[2]، أجمع العلماء على أن قوله: M إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا L نزل في حق من تاب، فإذاً قوله ـ جل وعلا ـ: M y z { | } ~ L في حق من مات على غير التوبة مصراً على معصية، فهو على رجاء الغفران تحت المشيئة، إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه بذنبه، وأما من تاب فإنه لا يدخل تحت المشيئة؛ لقوله ﷻ: M إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا L ولقوله ﷻ: M e f g h i j k l m L[3]، في آيات كثيرة في هذا المقام.

وهاهنا في هذه الآية بحث وهو أن قوله ﷻ: M r s t u v w L فيه النكرة في سياق النفي، ومن المتقرر في أصول الفقه، وفي علم العربية أن النكرة في سياق النفي تعم[4]، وهنا وقعت النكرة في سياق النفي، والنكرة هي المصدر المنسبك من (أنْ) والفعل المضارع يشرك؛ لأن معنى الكلام إن الله لا يغفر شركا به، والمصدر نكرة، وهذا يعني عموم الشرك، فيكون المراد هنا أن الله ـ جل وعلا ـ لا يغفر أي نوع من أنواع الشرك، فالشرك على هذا لا يدخل تحت الغفران سواء أكان أكبر أم كان أصغر، أم كان في شرك الألفاظ وأشباه ذلك، بل إنما يقع فيه من الموازنة بين الحسنات والسيئات، وإما يؤخذ العبد

---

(١) سورة النساء (آية: ٤٨).

(٢) سورة الزمر (آية: ٥٣).

(٣) سورة طه (آية: ٨٢).

(٤) انظر: روضة الناظر (ص٢٢١) ط. جامعة الإمام، والمحصول للرازي (٥٦٣/٢) ط. جامعة الإمام، وإرشاد الفحول (٢٠٧/١) ط. دار الفكر.

به فيعذب عليه، وهذا اختيار جمع من المحققين منهم شيخ الإسلام ابن تيمية[(١)]، ومنهم أكثر أئمة الدعوة رحمهم الله تعالى، بناء على القاعدة الأصولية على ذلك.

ويُفَرَّق في هذا الموضع بين الكفر الظاهر والباطن، والأصل أنه لا يُكَفَّر أحدٌ إلا بعد قيام الحجة عليه[(٢)]؛ لقول الله ﷻ: M﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ L[(٣)]، والعذاب هنا إنما يكون بعد إقامة الحجة على العبد في الدنيا أو في الآخرة، قد يُعامل معاملة الكافر استبراء للدين، وحفظا له، من جهة الاستغفار له، ومن جهة عدم التضحية له، وألاّ يزوج وأشباه ذلك من الأحكام.

فإذاً كلام أئمة الدعوة في هذه المسألة فيه تفصيل ما بين الكفر الظاهر والكفر الباطن، ومن جهة التطبيق في الواقع يفرقون[(٤)]، فإذا أتى للتأصيل قالوا هو كفر سواء أكان كفره عن إعراض وجهل، أو كان كفره عن إباء واستكبار، وإذا أتى للتطبيق على المعين أطلقوا الكفر على من أقيمت عليه الحجة الرّسالية البينة الواضحة، وأما من لم تقم عليه الحجة

---

(١) انظر: التحفة العراقية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٦٠) ط. المطبعة السلفية، والنبوات (ص١٠٦) ط. المطبعة السلفية، وقاعدة في المحبة (ص٦٨) ط. مكتبة التراث الإسلامي، ومجموع الفتاوى (٤/٤٧٥)، (٧/٦٨٣).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (فإن الكتاب والسنة قد دلا على أن الله لا يعذب أحداً إلا بعد إبلاغ الرسالة، فمن لم تبلغه جملة لم يعذبه رأساً، ومن بلغته جملة دون بعض التفصيل لم يعذبه إلا على إنكار ما قامت عليه الحجة الرسالية، وذلك مثل قوله ﷻ: M Q R S T U V W X L (سورة النساء(آية: ١٦٥) ا.هـ.

انظر: مجموع الفتاوى (٣/٢٢٩)، (١٢/٤٩٣ ـ ٥٠٠)، وانظر: فتيا في تكفير الجهمية للشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ ـ رحمه الله ـ (ص١٤٥) ط. دار العاصمة.

(٣) سورة الإسراء (آية: ١٥).

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (التكفير العام كالوعيد العام يجب القول بإطلاقه وعمومه، وأما الحكم على المعين بأنه كافر أو مشهود له بالنار، فهذا يقف على الدليل المعين، فإن الحكم يقف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه، ومما ينبغي أن يُعلم في هذا الموضع أن الشريعة قد تأمرنا بإقامة الحد على شخص في الدنيا إما بقتل أو جلد أو غير ذلك ويكون في الآخرة غير معذب، وكذلك نعلم أن خلقاً لا يعاقبون في الدنيا مع أنهم كفار في الآخرة، مثل أهل الذمة المتقين بالجزية على كفرهم، ومثل المنافقين المظهرين الإسلام، فأنهم تجري عليهم أحكام الإسلام وهم في الآخرة كافرون). انظر: مجموع الفتاوى (١٢ / ٤٩٨ ـ ٥٠١)، والاستقامة (١/١٦٤)، والدرر السنية (٢/٢١٠)، (٣/٢٢).

فتارة لا يطلقون عليه الكفر ؛ كما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في موضع : وإن كنا لا نكفر من عند قبة الكوّاز وقبة البدوي لأجل عدم وجود من ينبههم[١]. الشيخ ما كفر أهل (الجبيلة)[٢] ونحوهم ممن عندهم بعض الأوثان في أول الأمر ؛ لأجل عدم بلوغ الحجة الكافية لهم. وقد يطلق بعضهم على هؤلاء الكفر، ويريد به أن يعاملوا معاملة أهل الكفر، حرزا ومحافظة لأمر الشريعة والاتباع، حتى لا يستغفر لمشرك، وحتى لا يضحي عن مشرك، أو أن يتولى مشركاً، ونحو ذلك من الأحكام.

وقد حذرنا الله ـ ﷻ ـ منه، الظاهر منه والباطن، وفي كل ذلك حث لتجريد العبودية لله وحده، وإبطال لكل وجه يفسد تلك العبودية، وبالتتبع و الاستقراء لنصوص الوحيين، وجد علماء الأمَّة أن الشّرك ينقسم إلى قسمين : شرك أكبر ، وشرك أصغر.

وقد درج الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ على هذا التّقسيم .

يقول ــ رحمه الله ــ : " الشّرك بالله أعظم ذنب عُصي الله ــ ﷻ ــ به، وهذا الشّرك قسمان : شرك أصغر، وشرك أكبر." [٣]

الشرك الأكبر :

في تعريف الشّرك الأكبر. يقول الشّيخ ـ رحمه الله ـ :

"واعلم أن الله ـ ﷻ ـ من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التّوحيد إلا جعل له أعداء، كما قال ﷻ : M 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G I J K LM O P Q L[٤]، وذلك أن التّوحيد يقابله الشّرك،

---

(١) انظر : الدرر السنية (١/٢٦٤، ٢٣٤، ١٠٤).

(٢) الجبيلة : تصغير جبلة بلد هو قصبة قرى بني عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز العبقسيين بالبحر. انظر : معجم البلدان.(ج٢، ص ١١٠).

٣) مذكرة دروس وفتاوى الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ تحت الطباعة.

(٤) سورة الأنعام (آية : ١١٢).

والهدى يقابله الضلال، والخير يقابله الشّر، والهدى يقابله الضلال، والخير يقابله الشّر، والحق يقابله الباطل، وكل له مؤيدون وأتباع" [١].

وكل ما سوى الشّرك الأكبر طريق من الطرق الَّتي تنقص التّوحيد في قلب المسلم، كالشرك الأصغر والمعاصي عموماً، ويرى الشّيخ ـ رحمه الله ـ أن ما دون الشّرك الأكبر قوادح في التّوحيد؛ لذا كان الأجدر أن نتكلم عن حقيقة التّوحيد عند الشّيخ ـ رحمه الله ـ.

ويقول ـ رحمه الله ـ: "الشرك بالله: هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، فمن خصائص ما هو مستحق لله وحده: كالذبح، والنذر، والدعاء، و الاستغاثة،... إلى غير ذلك.

التفصيل: فأنت الآن تستغيث بغير الله، وقعت في الشّرك، تذبح لغير الله، وقعت في الشّرك" [٢].

ويرى الشّيخ ـ رحمه الله ـ أن أعظم العوائق الّتي تعوق التّوحيد، وتقطعه من أصله. الشّرك الأكبر المخرج من الملة.

أما عن أصل الشّرك فيقول ـ رحمه الله ـ:

"ولا شك أن أصل شرك العالم طلب الحوائج من الموتى، والاستعانة بهم، والتوجه إليهم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً عمن استغاث به، أو سأله أن يشفع له عند الله ـ عز وجل ـ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده، فإن الله ـ عز وجل ـ لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه." [٣]

ويقول الشّيخ ـ رحمه الله ـ في شأن شُعَبُ الشرك: "ومنه ما هو عبادة القبور، و الاستنجاد بها، وطلب المدد منها، ومنها: ما هو طلب الملائكة، أو الأنبياء، أو

---

١) درس مسجل بصوت الشّيخ ـ رحمه الله ـ بعنوان (الإيمان الحقيقي)، من تفريغ البّاحثة.

٢) شرح كشف الشّبهات للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ (ص: ٦٣)، وفي شرحه لكتاب التّوحيد ذكر هذا الضابط في عدة أبواب، على سبيل المثال: باب الخوف من الشّرك، وباب الشّفاعة، وشريط: نواقض الإسلام، من تفريغ البّاحثة.

٣) رسالة توجيهات إسلامية. لفضيلة الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ.

الأشجار، أو الأحجار. ومنها: الذبح لغير الله، ومنها الذبح في المكان الَّذي يذبح فيها لغير الله، كل هذا مما ينافي التّوحيد بالكلية، فيكون الإنسان مشركاً حلال الدم والمال، إلا أن يتوب. ومنه ما يكون منافياً لكمال التّوحيد، وذلك على حسب ما يقع في اعتقاد القلب." [١]

وذكر الشّيخ أنواعاً من الشّرك فقال:

"ومن أنواع الشّرك الَّذي وقع فيه الكثير: طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً، فضلاً عمن استغاث به، أو سأله أن يشفع له عند الله ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع." [(٢)]

المطلب الثاني: أول شرك وقع في الأرض:

قال الشّيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ عن مبدأ الشرك في العالم فيقول: "أول شرك حدث في الأرض حدث في قوم نوح، وذلك أن خمسة من الصّلحاء وأهل الخير والتقى، وهم: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، فهؤلاء الخمسة من قوم نوح كانوا رجالاً صالحين، فيهم دين، وتقى، وخير، يقتدي بهم قومهم، فلما ماتوا أسف عليهم قومهم، وعكفوا عند قبورهم؛ ليتذكروا ما كانوا عليه من الخير، جاءهم الشّيطان، فقال: لو صورتم صورة كل إنسان في مجلسه، ونصبتموها في مكانه؛ من أجل أن تروهم، وتتذكروا ما كانوا عليه من الخير، بدلاً من العكوف على قبورهم، فعند ذلك صوروا صورهم، ونصبوا صورة كل واحد منهم، وجعلوها في مجلسه؛ ليتذكروا ما كانوا عليه من الخير. فلما انقرض هذا الجيل، جاءهم الشّيطان، وقال: إن أوليكم لم يصوروا هذه الصّور إلا ليستنزلوا بها الأمطار، ويستنصروا بهم على الأعداء، ويطلبوا منهم تفريج الكربات،

---

١) شرح كتاب التّوحيد. للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ ، باب من الشّرك: لبس الحلقة والخيط ...

٢) مجلة التوعية الإسلامية، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السنة التاسعة، العدد الثالث، رسالة في التوحيد، سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد ـ رحمه الله ـ، الحلقة الأولى، الجمعة ١٤٠٣/١١/١٨هـ(ص٢٠).

.

فعند ذلك عبدوهم، فهو أول شرك وقع في الأرض، عند ذلك بعث الله ـ ﷻ ـ نوحاً إلى هؤلاء يأمرهم بعبادة الله ـ ﷻ ـ ، وينهاهم عن عبادة تلك الصّور، وأنها لا تغني، ولا تجزي شيئاً، فمكث يدعوهم تسع مئة وخمسين عاماً، فلم يرعووا، ولم يقبلوا، بل قالوا: M h i j k l m n o p q r s t L[1].

المطلب الثالث: أقسام الشّرك .

وقد درج الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ على ما كان عليه سلف هذه الأمة، من تقسيم الشّرك على حسب أنواع التّوحيد، فهناك شرك في الألوهية، وشرك في الرّبوبية، وشرك الأسماء والصفات .

قال ـ رحمه الله ـ في ضابط الشّرك :

"وضابط الشّرك الَّذي لا يغفر هو: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، هذا هو ضابطه ـ كالذبح ـ فإنه من خصائص الألوهية."

ثم قال ـ رحمه الله ـ :

"والدعاء، و الاستغاثة ، وطلب المدد، وسؤال تفريج الكربات، وإغاثة اللهفان .كل هذا من اختصاص الرّبوبية، فإن صرفه لغير الله فقد أشرك." [2]

ويقول ـ رحمه الله ـ :

"والذي يناقض الإسلام، ويخرج به إلى الكفر، منه ما هو يخرج إلى الكفر، ومنه ما هو وسائل إلى الشّرك، وذرائعه بين الوسائل والغايات، يحذرنا أن نقع في مثل ما وقعت فيه من سبقتنا من الأمم." [3]

---

١) سورة هود (آية: ٣٢).

٢) الإيمان الحقيقي. تسجيل بصوت الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ ، من تفريغ البّاحثة .

٣) نواقض الإسلام. تسجيل بصوت الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ من تفريغ البّاحثة.

وقد ذكر الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ في مواضعَ كثيرةٍ من رسائله ودروسه تعدُّد الشرك ؛ حيث يقول ـ رحمه الله ـ : " الشرك قسمان : شرك أكبر، وشرك أصغر[(١)].

المطلب الرابع : الشّرك الأكبر، وضابطه، ونماذج له :

قال الشيخ ـ رحمه الله ـ : "ضابط الشّرك الأكبر: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، هذا هو الشّرك الأكبر، فإذا سئلت، فقيل لك: أخبرنا عن ضابط الشرك الأكبر؛ حتى ندرج تحته ما يندرج تحته، ونميز الشّرك عن المعاصي، وعن الشّرك الأصغر؟ فقل: ضابط الشّرك الأكبر: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، هذا هو ضابط الشّرك الأكبر، فما معنى هذه العبارة (هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله)؟ نقول لك: من الخصائص الّتي لا تكون إلا لله الدعاء، والذبح، والنذر، و الاستغاثة، و طلب المدد، ... إلى غير ذلك، هذا هو الَّذي لا يجوز صرف شيء منه لغير الله، فإذا صرفت شيئاً من ذلك لغير الله، فإن هذا هو الشّرك بعينه، وهذا هو الشّرك الأكبر: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، والذي هو من خصائص الله هو العبادة .

أما عن تعريف العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأفعال، الظاهرة والباطنة، ومن أنواعها الدعاء... إلى آخره." [(٢)]

ويبين الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ هذه المعاني في عدة مواضع :

يقول ـ رحمه الله ـ :

"والشرك أكبر الكبائر، وهو تنقص في جانب الرّبوبية، فهذا المشرك قد تنقص الإله في ربوبيته، وفي عبادته، فإن الله هو الَّذي خلق هذا العالم، وأوجده، وتكفل بأرزاقهم، وهو العالم بكل شيء، المدبر لكل شيء، المستحق للعبادة، فمن جعل مع الله شريكاً،

---

١) شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ ، باب: الخوف من الشرك(تحت الطباعة).

٢) شرح كتاب التّوحيد. للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ ، باب: الشّفاعة(تحت الطباعة).

فهذا مشرك في جانب الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه وتعالى : M + , - . / L [١]، أي: يماثلون، ويساوون معبوديهم من دون الله يساوونهم بالله."[٢]

من أنواع الشّرك الأكبر:

يتحدث الشّيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ عن بعض أنواع الشرك الأكبر فيقول : خوف الشّرك ؛ فهذا عبادة، فصرف الخوف الّذي هو الشّرك بغير الله شرك أكبر، ينافي توحيد الألوهية، ومعنى خوف الشّرك : هو أنك تخاف من هذا الميت، هذا الصّالح مثلاً، أو هذا النبي، أو هذا الملك، أو هذه الشّجرة توقع بك ضرراً، أو أنها تفعل بك مكروهاً، أو بأولادك، فهذا هو خوف الشّرك، إذا صرفت لها شيئاً من العبادة [٣].

من الشّرك الاعتماد على الأسباب:

قال الشّيخ ـ رحمه الله ـ: "إن الاعتماد على الأسباب شرك، وترك الأسباب قدح في الشّريعة، كونك تعتمد على هذا السّبب، وأن السّبب هو الّذي ينفع ويضر، هذا لا يجوز، بل النافع والضار هو الله. وكونك تترك السّبب قدح في الشّريعة، فالله سبحانه ربط الأسباب بمسبباتها، كما أنه لا يمكن درء العطش إلا بالماء، ولا دفع الجوع إلا بالأكل، ولا وجود الولد إلا بزوجة." [٤]

الاستغاثة :

يقول الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ:

"الاستغاثة هي: طلب الغوث، وإنما تكون في الشّدة، وهي أخص من الدعاء، والدعاء أعم، فكل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة ؛ لأن الاستغاثة هي طلب النصر من المستغاث به، وطلب تفريج الكربات منه، وإنما تكون في حالة الشّدة والضيق. أما الدعاء

---

(١) سورة الأنعام (آية : ١).

٢) الشّرك الأكبر. تسجيل بصوت الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ من تفريغ البّاحثة .

٣) الموالاة والمعادة في الله. تسجيل بصوت الشّيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ من تفريغ البّاحثة .

٤) شرح كتاب التّوحيد. للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ ، باب: من حقق التّوحيد دخل الجنة .

ففي حالة الشّدة، وفي حالة الرخاء." [١]

"ومن الشّرك الأكبر أن يستغيث العبد بغير الله، ويطلب منه المدد، أو يدعو غيره، والدليل على أن هذا شرك قوله ﷻ: M وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ L [٢]، أي: من المشركين M ! " # $ % & ' ( ) L [٣]، فالآية تدل على أن الإنسان إذا وقع به كرب لا يمكن أن ينكشف عنه إلا بإذن الله، فهو القادر على إيجاده، والقادر على رفعه. وكذلك الاستعانة بغير الله؛ دلت السّنة على أنه لا يجوز لأحد أن يستعين بغير الله، أو يسأل غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فإن النبي ﷺ قال: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**»[٤] وهو معنى قوله ﷻ: M 2 3 4 5 L [٥] [٦]

الذبح :

ويبين الشّيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ أن الذبح لغير الله شرك، فيقول في كتاب التوحيد، في باب: ما جاء في الذبح لغير الله:

"عتبة هذا الباب أن هذا الذبح يمنعه من الجن، وأن الجن لا يصلون إليه، ويتقرب بالذبح إليهم، فهذا شرك مناف للتوحيد، وأي ذبيحة ذبحت لغير الله، فإنها حرام، لا يجوز أكلها، بالإضافة إلى أنها شرك؛ كما في قوله ﷻ: M ! " # $ % & ' ( ) * + L [٧]، أي: ما ذبح لغير الله، فهو حرام أكله، مع أنه ينافي

---

١) شرح كتاب التّوحيد للشيخ. عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ، باب: من الشّرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

٢) سورة يونس (آية: ١٠٦).

٣) سورة يونس (آية: ١٠٧).

٤) أخرجه أحمد(١/٣٠٧، ٢٩٣)، والترمذي(٤/٦٦٧ برقم٢٥١٦)، والحاكم(٣/٥٤١)، وصححه الألباني ـ رحمه الله ـ في صحيح الجامع الصغير(٧٩٥٧).

٥) سورة الفاتحة (آية: ٥).

٦) شرح كتاب التّوحيد، للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ، باب: من الشّرك الاستغاثة بغير الله، أو يدعو غيره.

٧) سورة المائدة (آية: ٣).

التّوحيد، فمثلاً لو ذبح إنسان تعظيماً للسلطان عند مقدمه الذبائح، لا تؤكل ـ وإن ذكر اسم الله عليها ـ، وهل يعتبر شركاً أم لا ؟

إن قصد به التّعظيم، فلا شك أنه شرك، وبكل حال فإنها محرمة، وقد أفتى علماء بخارى بتحريم أكلها، فإن قلت مثلاً: هذا واضح من أن الذبح لغير الله لا يجوز، وأنه شرك، وعللنا بأنه شرك ؛ لأنه عبادة، فالذبح فمتى صرف لغير الله، فأنت تدخله نداً لله، ومثيلاً له، فتقول: ما الدليل على أن الذبح عبادة؟ نقول: الأدلة كثيرة، منها قوله ﷻ: M قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ©رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ L [1]، فقوله ﷻ: M قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ L صريح في أن الصّلاة لله، والذبح لله، فكما أنه صلى لغير الله، وكان بذلك كافراً، فكذلك متى ذبح لغير الله، فقد قرن الذبح مع الصّلاة، وجعلها مثيلة لها، ومقارنة لها، ما يعلم بها أنه عبادة لله، بدليل قوله ﷺ: "لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ." [2]

وفي هذه الآية جمع بين العبادتين: عبادة بدنية، وهي الصّلاة. ومالية، وهي الذبح.

فإنك متى صرفت مالك لقوة الإيمان واليقين الّذي نشأ عن قلبك، صرفته لله ﷻ، كأنك جمعت بين أفعالك وأقوالك وبين مالك، وصرفت الجميع لله، متقرباً به إليه، امتثالاً لقوله: M Z [\ L [3]، هذا وجه توكيد أن الذبح عبادة، والدليل أن النبي ﷺ لعن من ذبح لغير الله، فأنت تتقرب بهذا الذبح لله، فمتى ذبح الإنسان بقصد دفع أذى الجن، فإنه صرف شيئاً من العبادة لهم، أو تعظيماً لشخص، أو رافعاً له بجعله في مرتبة الله، فهذا ينافي التّوحيد." [4].

---

(١) سورة الأنعام (آية: ١٦٢-١٦٣).

٢) سبق تخريجه(ص٢٣١).

(٣) سورة الكوثر (آية: ٢).

٤) شرح كتاب التّوحيد. للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ: باب ما جاء في الذبح لغير الله(تحت الطباعة) .

دعاء الأموات شرك:

يوضح الشّيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ أن دعاء الأموات شرك فيقول :"ومن لقى الله يشرك به شيئاً، دخل النار. مثل ما في حديث ابن مسعود، إذا مات، وقد جعل لله نداً يرجوه، ويدعوه، ويخافه، فهذا مآله إلى النار؛ لأنه لا توحيد له حينئذ، بل صرف بعض حق الله لهذا المخلوق الضعيف، جعله يدعو، ويندب عبد القادر، أو العباس، أو ابن العباس، أو السّيدة زينب، أو ما أشبه ذلك. كل هذا من الأمور الباطلة الّتي ابتلى بها الكثير من الناس، بالافتتان بالقبور، والتعلق بها، بل جعلوا يعظمونها أعظم من تعظيم الله، فلو قلنا له: احلف بالله، حلف مباشرة. ولو قلت: احلف بمعبودك وسيدك، فهنا يتوقف، و لا يمكن أن يحلف مهما كان." (١)

التوسل الشّركي :

يبين الشّيخ ابن حميد ـ رحمه الله ـ أن من التوسل ما قد يكون شركاً بالله ـ تعالى ـ ، فيقول: "فالله لا يرضى أن يكون بينك وبينه أي واسطة ما، وهم يقولون: إنا لا نصل بأعمالنا إلى الله، وهؤلاء بمنزلة الوزراء للسلطان؛ فالمحققون أبطلوا هذا. قال: وهذا تشبيه فاسد.فالله ليس كالسلطان، بل هو الغني عن ذلك، والسلطان يقبل شفاعة الوزير؛ لحاجته إليه، ولخوفه منه، فهو محتاج إلى أن يقبل شفاعة ذلك الوزير؛ لأن الملك عاجز، ولا قدرة له إلا بوزراء، وهذا الوزير أيضاً محتاج إلى السّلطان؛ ليأتي إليه، أما الرب فغني عن هذا كله؛ فهو ليس بحاجة إلى وزير، ولا إلى شيء، بل يقول للشيء: كن. فيكون. فكيف نشبه هذا المخلوق الضعيف الّذي هو محتاج إلى الغير بالخالق العالم الغني الحميد؟ قال: وقول الله سبحانه وتعالى: M قُلِ ادْعُوا © زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا ¶
يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ

---

١) شرح كتاب التّوحيد. للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ ، باب: الخوف من الشّرك .

كَانَ مَحْذُورًا L[١] . ما معنى الآية؟ معنى الآية: يقول الله ﷻ لنبيه ﷺ: قل لهؤلاء الَّذين دعوا الَّذين زعمتم دون الله، الَّذين تعبدونهم، وتريدون أن يرفعوا حوائجكم إلى الله، فإنهم لا قدرة لهم على شيء من ذلك، بل هم أنفسهم يعبدون الله، ويفردونه بالعبادة، فكيف أنتم تعبدونهم، وتصرفون لهم ما هو من حق الله ﷻ، سواء كان على قول بعض المفسرين يقولون: الجن. أو غيرهم؛ لأن بعض المفسرين يقولون: إن هناك أناساً من الإنس كان يعبدون أناسًا من الجن، وهؤلاء المعبودون أسلموا، وبقوا على إسلامهم، وهؤلاء لا يزالون متمسكين بهم، ويعبدونهم، والمعبودون أسلموا، ووحدوا الله ﷻ، فقال: M قُلِ ٱدْعُوا۟ © زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا ´ L ، أنتم تدعونهم، هم يبتغون إلى ربهم الوسيلة، ويرجون رحمته، فكيف لا تفعلون مثل صنيعهم؟ M قُلِ ٱدْعُوا۟ © زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ L يعني: الَّذين أنتم تعبدونهم من جن، أو أنبياء، أو ملائكة لا يستطيعون أن يرفعوا عنكم ضرراً حل بكم، لا يملكون ذلك، ولا يستطيعون إيصال النفع إليكم، ولا يستطيعون تحويلكم من حال إلى حال بأن ينقلوا الضر عنكم إلى غيركم، أو يأتوا إليكم بنفع؛ فإنهم لا قدرة لهم، فإذا كانوا عاجزين، كيف تساوونهم برب العالمين؟ وكيف تسألونهم وترجونهم؟"[٢]

المطلب الخامس: الشّرك الأصغر: ضابطه، ونماذج له:

بين الشّيخ ابن حميد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ ضابط، وحدّ الشرك الأصغر فيقول: "ضابطه ما ورد في النصوص تسميته شركاً، ولم يصل إلى حد الشّرك الأكبر، لم يسو في ذلك غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، لكنه جاء في النصوص تسميته شركًا، إلا أنه لا يصل إلى حد الشّرك الأكبر، مثال ذلك: قول: ما شاء الله، وشئت. فلو قيل: لم تندرج تحت الشّرك الأكبر؟ نقول: أعطنا ضابط الشّرك الأكبر، وانظر هل يندرج قول: ما شاء الله

١) سورة الإسراء، (آية: ٥٦- ٥٧).

٢) شرح كتاب التّوحيد. للشيخ عبد الله بن حميد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ باب: تفسير التّوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله(تحت الطباعة).

وشئت تحته؟ قلنا: ضابط الشّرك الأكبر هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، فقول: ما شاء الله وشئت. هل جعل هذا المخاطب مثل الله؟ نقول: لا، هذا شرك أصغر؛ لأن قول: ما شاء الله. ولا شك أن لله مشيئة، وأنت أيضاً لك مشيئة، لا نسلب عنك المشيئة، لك مشيئة، لكن مشيئتك خاضعة لمشيئة الله؛ ولهذا لا نقول: هذا شرك أكبر. إنما نقول: شرك أصغر؛ لأنك جئت بالواو المقتضية لمطلق الجمع والإشتراك، فلو قلت: ما شاء، ثم شئت. انتفى المحذور؛ لأن (ثم) تقتضي التّعقيب، والتعقيب يعني: مشيئتك موافقة بعد مشيئة الله، فإذا قلت: ما شاء الله وشئت. صارت مشيئتك مماثلة لمشيئة الله؛ بدلالة الواو، فلهذا مشيئتك لا تكون مساوية لمشيئة الله، بل مشيئة الله أهم وأعظم، إلا أن مشيئتك خاضعة لمشيئة الله ،فإن قلت: ما الدليل على أن لي مشيئة؛ أنا عبد من عباد الله؟ نقول لك: نعم، أنت عبد من عباد الله، لكن لك مشيئة تابعة لمشيئة الله؛ قال ﷻ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾[1]، فأسند المشيئة إليه، ثم قال ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[2]، فدل على أن لك مشيئة كذلك.

من الشّرك الأصغر الّذي لا يدرج تحت ضابط الشّرك الأكبر قولك: لولا الله وفلان لضربني زيد. يعني: أن زيدًا أراد أن يضربك، ولكن عمر جاء، وخلصك من زيد، فقلت: لولا الله وعمر لضربني زيد. في هذا ما جاء عمر مساوياً لله، ولم تصرف له شيئاً من العبادة؛ لأنه هو الّذي خلصك بمشيئة الله، لكنك جئت بالواو الدالة على مطلق الجمع والاشتراك، فلو قلت: لولا الله ثم عمر، لضربني زيد، أو لقتلني زيد. لقلنا: هذا صح، فكذلك من يسير الرياء وما أشبهه. هذا هو ضابط الشّرك الأصغر"[3].

نموذج من الشّرك الأصغر:

الرياء: هو أن الرجل يعمل الطاعة لله: من صلاة، أو صدقة، أو حج، أو صوم، أو غير ذلك، لكن وقر في قلبه محبة محمدة النَّاس له، وثنائهم عليه، يحب أن النَّاس يطلعون

---

١) سورة التكوير (آية: ٢٨).

٢) سورة التكوير (آية: ٢٩).

٣) شرح كتاب التّوحيد. باب الشّفاعة. للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ (تحت الطباعة)..

على عمله؛ من أجل أن يثنوا عليه، ومن أجل أن يمدحوه، فصار هذا العمل مشوباً، لم يكن خالصاً لله، فما دام أن العمل غير خالص لله، فإن الله لا يقبله." [١]

المطلب السادس: سد الذرائع المؤدية إلى الشّرك:

والمقصود بسد الذرائع إغلاق الأبواب المؤدية إلى الوقوع في المحظور، ومنع الوسائل التي تكون من نتيجتها فعله، ومن هنا فإن معنى سد الذرائع المؤدية إلى الشرك ووسائله، أي إغلاق كل باب يؤدي إليه، ومنع كل وسيلة يمكن أن توقع صاحبه في الشرك بالله ـ سبحانه وتعالى ـ، فلابد من إزالتها، وحسمها حماية لجناب التوحيد، كما هو هدي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه وتابعيهم بإحسان.

يقول الشّيخ ـ رحمه الله ـ معلقاً على الحديث الّذي في الصّحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه: (**أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ - قَالَ - فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَسُولاً - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِى بَكْرٍ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: وَالنَّاسُ فِي مَبِيتِهِمْ - « لاَ يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلاَدَةٌ مِنْ وَتَرٍ، أَوْ قِلاَدَةٌ إِلاَّ قُطِعَتْ »**)[٢] أي: لابد من إزالتها، وكل ذلك حسماً لمادة الشّرك وذرائعه، فربما اعتقدوا أن الدافع للعين والجالب للسلامة هو ذلك الوتر المعلق، فإذا اعتقدوا هذا، فإن هذا شرك أكبر لا يجوز، وإن اعتقدوا أن الله هو المؤثر، وأنه هو الَّذي يجلب النفع، ويدفع الضر، ولكن بسببها، فهذا محرم، ولا يجوز؛ لأن الأسباب ـ وإن كانت جائزة شرعاً ـ لكن لا يجوز منها إلا ما أباحه الله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

فالنبي صلى الله عليه وسلم حسم مادة الشّرك، وحسم ذرائعه، بل منع من وسائله؛ مراعاة للغاية.

ويقول الشّيخ في مسألة تعليق شيء من الآيات، والأدعية على المريض:

"قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وإبراهيم النخعي رضي الله عنه: إنها ممنوعة، وهم يمنعونها لعدة أمور، منها:

أولاً: فيه وسيلة إلى أن المريض يدخل الأمكنة القذرة، وهو حامل القرآن، والقرآن يجل، وينزه عن ذلك.

---

١) شرح كتاب التّوحيد. للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ، باب: الخوف من الشّرك(تحت الطباعة)..

٢) أخرجه البخاري (٣/١٠٩٤ برقم ٢٨٤٣)، ومسلم(٣/١٦٧٢برقم: ٢١١٥).

ثانياً: يقولون: لو فتح هذا الباب، لجاء النَّاس، وكتبوا مع القرآن طلاسم وأشياء لا تجوز، وأُدخِلت باسم القرآن؛ لأنه لا يوجد من يطلع عليه، والشريعة جاءت بحسم مواد الشّرك، والمنع من البدع.

ثالثاً: يقولون: إن المريض متى علقه، وإن كان به قرآن، فإنه يخشى أن يعتقد أن الَّذي يحفظه، ويؤثر فيه الشّفاء، ويدفع عنه الضر هذا المعلق، دون الله سبحانه وتعالى؛ لأنه وضعه، وتعلق به، ويظن أنه هو الَّذي يؤثر، فيقع في الشّرك الأكبر، فلهذا، وحسماً لمادة الشّرك منعوا، وهذا هو المختار عند أئمة هذه الدّعوة." (١)

سد الذرائع المفضية إلى الشّرك من مقاصد هذه الشّريعة المباركة:

لما كان الشّرك من أعظم الذنوب، كان التّحذير منه، وسد الطرق المؤدية إليه من مقاصد الإسلام؛ حتى لا يقع المسلم في الشّرك بعلم أو بغير علم، وكذا كل الآثام، فالمنع من الطرق المفضية إليها من أهداف الشّريعة المباركة، والشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ يقرر هذا المبدأ.

حيث ينقل في موضع من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ قائلاً: "وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ، لما ذكر ما يفعله المشركون عند القبور: فلأجل هذه المفسدة حسم النبي ﷺ مادتها؛ حتى نهى عن الصّلاة في المقبرة مطلقاً ـ وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة المساجد، كما نهى عن الصّلاة وقت طلوع الشّمس وغروبها؛ لأنها أوقات يقصد فيها المشركون الصّلاة للشمس، فنهى أمته عن الصّلاة حينئذ وإن لم يقصد ماقصده المشركون سداً للذريعة." (٢)

ويقـول ـ رحمه الله ـ: M J K L L هذا أمر M M N L (٣)

الاجتناب: أبلغ من التّرك، الاجتناب معناه: أننا نترك الشّيء، ونترك الوسائل والطرق

---

١) شريط الرّقى والتمائم. للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ، من تفريغ البّاحثة.

٢) رسالة توجيهات إسلامية. للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ.

٣) سورة النحل (آية: ٣٦).

الّتي توصل إليه ؛ اجتنبوا أبلغ من اتركوا ؛ لأن الاجتناب معناه : أن الإنسان يبتعد عن كل ما يوصل إلى الشّرك ، ووسائله ، وطرقه."

إبطال الشّيخ ـ رحمه الله ـ للوسائط المزعومة ، وتأسفه لما يقع في كثير من بلاد الإسلام :

قال ـ رحمه الله ـ : "ولكن يا للأسف ! قَلَّ بلاد إلا وتجد فيها من المقبورين من يعظمونهم ، ويسألونهم ، ويقولون : إنهم وسائط بيننا وبين الله. الله لا يرضى أن يكون بينك وبينه أي واسطة ما ، قال سبحانه وتعالى : M **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** L[1] ، ولم يقل : وإذا سألك عبادي عني ، فإنّ بيني وبينهم وسائط ، لم يقل هذا ، بل قال : M**فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ** L ، فالله لم يرض أن يكون بينك وبينه أي واسطة ، بل أمرك أن تدعوه ، أمرك أن تستعين به ، أمرك أن تتوكل عليه ، إلى غير ذلك[2].

١) سورة البقرة (آية : ١٨٦).

٢) مذكرة ودروس وفتاوى للشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ (تحت الطبع) .